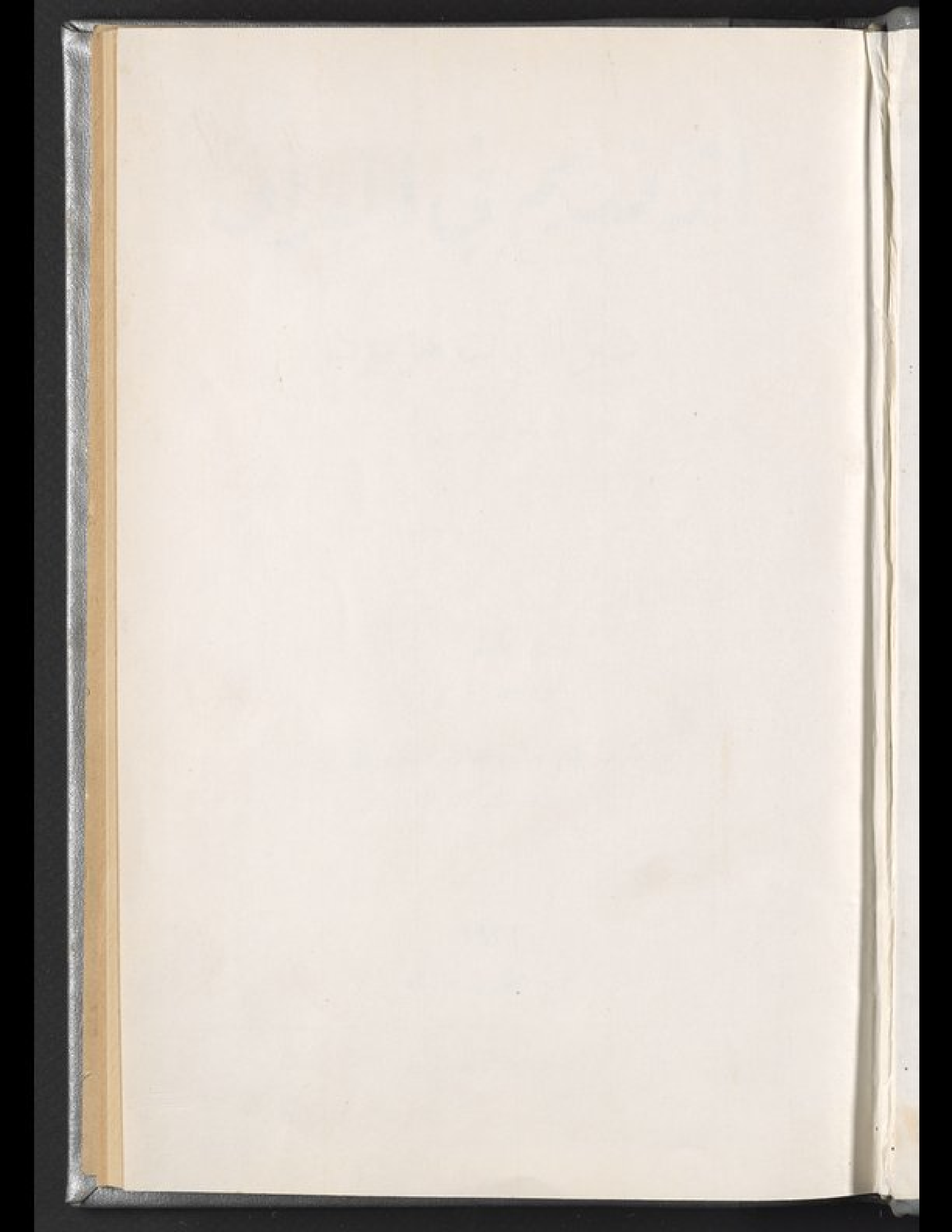






اثر قديم في العراق

دير الربان هرمزد

(بجوار الموصل)

بقلم

كوركيس حنا عواد

مع مقدمة بقلم صاحب المعالي يوسف بك غنيمة
وزير مالية العراق

١٩٣٤

« مطبعة النجم بالموصل »

اثر قديم في العراق

دير الربان هرمزد

(بجوار الموصل)

بقلم
كوركيس حنا عواد

مع مقدمة بقلم صاحب المعالي يوسف بك غنيمة
وزير مالية العراق

١٩٣٤

* مطبعة النجم بالموصل *

المقدمة

بقلم صاحب المعالي يوسف بك غنيمة وزير مالية العراق

يسر [illegible] من طبع هذا الكتاب ، [illegible] نسخة منه الى حضرة صاحب المعالي الاستاذ المحقق يوسف بك غنيمة ، وزير مالية العراق ، [illegible] بمقدمة [illegible] الكتاب [illegible] الذي [illegible] هذا الكتاب ، فنسجل شكري الخالص تجاهه .

(المؤلف)

عزيزي الاستاذ

تضمنت "كتابات [illegible]" ، اثر قديم في العراق ، [illegible] الآثار القديمة في بلادنا [illegible] الحضارات ومسرح [illegible] ومشهد الآيات والمعتقدات . [illegible] من [illegible] التاريخ [illegible] الاوان ووصف [illegible] المتقدمين [illegible] من يوم [illegible] قراءة الألواح التي [illegible] والكتاب [illegible] من الماضي البعيد [illegible] اليوم على [illegible] الاجيال [illegible] رجال القرون الغابرة . [illegible] على [illegible] التاريخ ، ولا [illegible] الا من [illegible] البحث [illegible] من [illegible] الاستطلاع [illegible] . [illegible] مع العلم ان [illegible] العرب [illegible] هذه الآثار [illegible] من [illegible]

المقدمة

بقلم صاحب المعالي يوسف بك غنيمة وزير مالية العراق

بعد الانتهاء من طبع هذا الكتاب ، ارسلتُ نسخة منه الى حضرة صاحب المعالي ، الاستاذ المحقق يوسف بك غنيمة ، وزير مالية العراق ، على امل ان يصدّره بمقدمة ، فتنازل معاليه وبعث اليّ بالكتاب التالي ، الذي زيّن جيد الكتاب . فأسجل شكري الخالص لمعاليه .

(المؤلف)

عزيزي الاستاذ

تصفحتُ كتابك المعنوَن « اثر قديم في العراق » وما اكثر الآثار القديمة في بلادنا المحبوبة مهبط الحضارات ومسرح المدنيات ومعهد الاديان والمعتقدات . ولكن قلّ من يعنى بدرس تاريخ تركة الاولين ووصف خلفة المتقدمين ويندر من يهتم بين ظهرانينا لقراءة الابحاث التي تعالج هذه المواضيع وتكشف الستار عن الماضي البعيد وتُطلع ابناء اليوم على عبقريات الاجيال الغابرة ونتائج جهود رجال القرون الغابرة . فإقدامك على انتاج دير الربان هرمزد يُعد بنفسه بادرة نشاط ، دافعك اليه حب العلم والتاريخ ، ولا يقدّر متاعبها إلا من زاول البحث عن وقائع الماضي وماجرياته وما يتطلبه من الجَلَد والمثابرة للاستطلاع على الحقائق الراهنة . فتلك لوحدها محمدة تشكر عنها . مع العلم ان اجدادنا العرب اهتموا لهذه الابحاث وأودعوا تآليفهم الشيْ الكثير عن تاريخ



الحيارات ، وقد ذكرتُ شيئاً من ذلك في ص ١٢ من كتابك وذلك ذكراً اسمها وهو "كتاب الحيارات للشابشتي" .

من طالع "كتابك هذا يقف على قدر الجهود التي بذلتها في وضعه بالرجوع الى المصادر الكثيرة في مختلف اللغات ، وهو عمل شاق تُحمد عليه . ولا غرابة اذا وقعت بعض الغلطات الطفيفة لانه لا يخلو منها كتاب في هذا العصر إلا ما ندر .

كتابك مرجع قيّم ومصدر زاخر لمعهد قديم يرتقي تاريخه الى عهد تاريخ الحضارة . وقد "كشف طوايا" الدهر وسوافي الأيام وشق طريقه بين التاريخ والقصص وعرج [illegible] على [illegible] الفضيلة ورواية القصة — فالفضيلة والقصة ، كما الحياة في مختلف مناحيها .

فأرجوك ايها الاستاذ لا يخلو من فائدة الشعب لانه يبرز لك أثراً [illegible] للسياح وهواة التاريخ فيأتون العراق لمشاهدته وزيارة غيره من الآثار فينفقون مالاً في سبيل ذلك فتجني منه البلاد نفعاً ، وانا [illegible] يتسع على مثالك هذه الاقلام من ابناء [illegible] بالشروع التاريخ ووصف المعاهد والآثار في العراق سواء كانت دينية أو مدنية .

اهني فيك ايها الاستاذ روح الاقدام والنشاط متمنياً لكتابك رواجاً ونفعاً .

بغداد ١٠ ايلول ١٩٣١ يوسف غنيمة

الفصل الاول

الطريق

الموصل — دير الربان هرمزد

يفصل الموصل عن دير الربان هرمزد مسافة قدرها (٤١) ميلاً . وعندما يريد المرء زيارة هذا الدير ، يغادر الموصل بالسيارة فيعبر جسرها فوق نهر دجلة ، ثم يتجه شمالاً ويمر بسلسلة من القرى (النسبحة) ويبلغ المواقع الاخرى ، حتى يصل هذا الدير .

واذا اراد الاستعجال في رحلته هذه ولم ييأس من وقته وفرة [illegible] فيمكنه ان يقوم بها في نهار واحد ، والا في يومين ، على ان يكون مبيته هناك في الدير . ونحن هنا [illegible] لما سيمر به في طريقه :

نينوى (تل قوينجق)

بعد ان تجتاز السيارة جسر الموصل وتتجه نحو الشمال في طريق معبدة تقطع مسافة ميل منه ، تمر [illegible] فوق نهر الخوصر ، ثم الى خرائب [illegible] قوينجق ، التي كشف عنها في حفريات [illegible] من القصور [illegible] والآثار [illegible] لنينوى القديمة .

ويرتقي عهد هذه المدينة الى سنة ٢٠٠٠ ق . م ، وقد كانت العاصمة الرابعة والاخيرة للامبراطورية الآشورية ، وذلك على عهد الملك سنحاريب واعقابه (من سنة ٧٠٥ — ٦١٢ ق . م) .

ويرى المرء بعد ذلك على مسافة نصف ميل جنوباً من تل قوينجق تلاً آخر قد شُيدت فوقه قرية تدعى "النبي يونس" (يونان) . ويفصل بين هذين التلين جزء من حوض الخوصر الذي لا يزال جارياً [illegible] .

واختلف العلماء بخصوص اتساع نينوى ، فظن البعض ان طولها كان ٣٠٠٠٠ ميلاً وعرضها ١٠٠٠٠ ميلاً ، وانها كانت تحتوي على خرائب قوينجق وخرسباد ونمرود

الفصل الاول

الطريق

الموصل — دير الربان هرمزد

يفصل الموصل عن دير الربان هرمزد مسافة قدرها (٢٦) ميلاً . وعندما يود المرء زيارة هذا الدير ، يغادر الموصل بالسيارة فيعبر جسرها فوق نهر دجلة ، ثم يتجه شمالاً ويمر بسلسلة من القرى (المسيحية) وبعض المواقع الاخرى ، حتى يصل هذا الدير .

واذا اراد الاستعجال في رحلته هذه ولم يأنس من وقته وفرة واتساعاً ، فيمكنه ان يقوم بها في نهار واحد ، وإلا ففي يومين ، على ان يكون مبيته هناك في الدير . وها اننا سنورد نبذة عما سيمرّ به في طريقه :

نينوى (تل قوينجق)

بعد ان تجتاز السيارة جسر الموصل وتسير نحو الشمال في طريق مبلطة تمتد مسافة ميل منه ، تعبر قناطر حجرية مشيدة فوق نهر الخوصر ، ثم تمر بمحاذية السفح الغربي لتل قوينجق ، الذي كُشف عما في طياته وخباياه من قصور ومبان وآثار وتماثيل لمدينة نينوى القديمة .

ويتراجع عهد هذه المدينة الى سنة ٢٠٠٠ ق م . وقد كانت العاصمة الرابعة والاخيرة للامبراطورية الآشورية ، وذلك على عهد الملك سنحاريب واحفاده (خلال ٧٠٥ — ٦١٢ ق . م) .

ويرى المرء عندئذ على مسافة نصف ميل جنوباً من تل قوينجق تلاً آخر ، قد شُيدت فوقه قرية تدعى « النبي يونس » (يونان) . ويفصل بين هذين التلين جزء من حوض الخوصر الذي لا يلبث حتى يتصل بدجلة .

واختلف العلماء بخصوص اتساع نينوى . فظنّ البعض ان طولها كان ١٨ — ٢٠ ميلاً ، وعرضها ١٢ — ١٤ ميلاً ، وانها كانت تحتوي على خرائب قوينجق وخرساباد وغرود

وكمليس . حتى لقد قال ديودور الصقلي ان محيطها يبلغ ٥٥ ميلا ! .. غير ان العلّامة رولنصن خالف هذا الرأي (١) وأكّد ان نمرود هي كالح، وان خرساباد هي دور سرجينا (٢) وان نينوى انما كانت تتألف من تل قوينجق وتل النبي يونس . فاذا تمسكنا برأي الذين يحصرون نينوى بقوينجق والنبي يونس وما يحيط بهما، كان محيط المدينة ثمانية اميال فقط .

والحفريات التي جرت في تل قوينجق كانت بعيدة المدى خلال القرن التاسع عشر واوائل القرن الحالي . واول من باشر باعمال الحفر في هذا الموقع هو المسيو بوتا (٣) قنصل فرنسا بالموصل وذلك في عام ١٨٤٢، ثم كان العمل قد أستؤنف من قبل السر هنري لايارد (٤) وهرمز رسام الموصلي، ولوفتوس (٥) وجورج سميث في اوقات متفاوتة، ومؤخراً في عام ١٩٠٤ قام كنج (٦) بالحفريات فيها وتلاه المستر طومسن (٧) عام ١٩٢٧ .

اما ما اكتشفه العلماء من الآثار والتحف فما لا يمكن حصره . وانما سنذكر اهم الابنية التي كُشف عليها : (١) ثلاثة هياكل . (ب) هيكل نبو (احد آلهة الآشوريين) (ج) قصر شلمناصر . (د) قصر سنحاريب . (هـ) قصر اسرحدون . (ز) قصر تغلث فلاسر . (ح) قصر آشور بانيبال . (ط) اسوار المدينة .

ويُعتبر قصر آشور بانيبال من اعظم ما عُثر عليه من الآثار . والمكتبة الملكية التي كانت تتألف من ٣٠٠٠٠ كتاب تبحث في الاديان والعلوم والآداب، قد خُزنت في المتحف البريطاني، وهي ذات قيمة لا يمكن تقديرها بمال (٨) .

وقد اتسعت المملكة على عهد آشور بانيبال اكثر مما اتسعت على عهد غيره من اسلافه . ففي عام ٦٦٦ ق م . وصل الى طيبة بمصر العليا وادي اجتياحه مدينة سوسا (٦٤٠ ق م) أضاف عيلام الى بلاده .

---

1) *Rawlinson : Five Great Monarchies of Ancient World* (*Vol I*, 1862, *P.* 313 *suif.*) 2) ܒܝܬ ܣܪܓܘܢ 3) *P.E.Botta.* 4) *Sir Austen Henry Layard.* 5) *W. K. Loftus.* 6) *Leonard W. King.* 7) *R. Comphell Thompson*.

٨) راجع مقالتي «المكتبة النينوية» في مجلة النجم (السنة الخامسة) ص ٤٥٠-٤٥٤ .

ولكن لشدة اهتمام الآشوريين بالامور الحربية ، فقد خسروا الايادي العاملة في البلاد لانشغالها بالغزوات والحروب. فنجم عن ذلك انحطاط هائل في الصناعة والزراعة، الامر الذي أدى الى اضمحلال الدولة ، فانتهزت بابل الفرصة ، وشقت عليهم عصا الطاعة ، ثم تبعتها مصر في هذا المضمار . وهكذا لم يمض على موت آشور بانيبال (٦٢٦ ق . م) مدة طويلة حتى كان الميديون والبابليون قد اتفقوا وتآزروا معاً على خضد شوكة نينوى ، وكانت النتيجة ان سقطت نينوى تلك المدينة العظيمة على ايديهم (١) .

تلكيف (ܬܠܟܐܦܐ = تل الأحجار) :

ثم تتبع السيارة الطريق المؤدية الى تلكيف ، وبعد قطع تسعة اميال (١٥ دقيقة بالسيارة) يجد نفسه مطلاً على هذه البلدة الواقعة في منخفض من الطريق (٢) .

ولهذه البلدة الكلدانية شهرة في كل العراق ، نظراً لما لأهاليها من انتشار عظيم بين الكثير من انحاء هذا القطر . وهم مشتهرون بحب العمل مها كلفهم الامر . ولقد نزح منهم عدد وافر ووجهتهم اميركا ، حيث هناك يبتغون العيشة الراضية ويتلمسون الارباح والمكاسب .

ان البقاع المجاورة لتلكيف تصبح في الصيف ارضاً جرداء ليس فيها إلا الهشيم وبعض الاشواك والحسك اليابس . غير ان منظرها الجميل يعود ويتراجع في الربيع ، فيسترد عافيته بعد ان نال منه الشحوب كل منال فتعود تلك السهول والرُبى تكتسب جمالها وخضرتها . فأنى توجه نظرك تلق الازهار والرياحين البرية منتشرة هنا وهناك .

وبلدة تلكيف هي مركز ناحية تلكيف . وتبلغ نفوسها نحو ٩٠٠٠ نسمة، وفيها مدرسة ابتدائية للبنين ، وارسالية لراهبات الدومنيكان وهنّ يقمن بتعليم البنات (٣)

---

١) ورد اسم نينوى في مواضع كثيرة من الكتاب المقدس (راجع تك ١٠: ١١ ، ١٢ ؛ يون ٣: ٣ ؛ نا ١: ١ ، ٨ و ٢: ٦ ، ٨ ؛ ٣: ١٨) . وورد اسم يونان في (يون ١: ١ ؛ ٢ مل ١٤: ٢٥ ؛ مت ١٢: ٣٩-٤١ و ١٦: ٤ ؛ لو ١١: ٢٩-٣٢ ، يون اصحاح ١-٤) .

٢) راجع عن تلكيف في النجم (٣: ٣٧١-٣٨٠)

٣) تتخذ نساء هذه البلدة من الثياب ما زها لونه ، وأغطية رؤوسهنّ معقدة بقطع ذهبية او مرجانية او بالزجاج الأزرق والكهرمان والشبح وبانواع الخرز . ويشاهد الزائر في المتحف العراقي ببغداد ، صوراً فتوغرافية أخذت لنساء من اهالي هذه البلدة ، وهنّ بزيهنّ الحالي المعهود . ويظهر لدى المقارنة والمقابلة ، ان هذا الزي يشابه كل الشبه الزي

وفي تلكيف كنيسة فخمة أسست حديثاً ، وقد لا يوجد لها نظير بين كنائس العراق عظمة وجلالاً (١) . ويعتمد الاهالي في مائهم على الآبار والامطار . اما لغتهم فهي السورث (اي الكلدانية العامية) ، لكن الكثير منهم يُحسن العربية .

باطناية (ܒܝܬ ܛܢܢܐ = بيت الغيرة ؛ او ܒܝܬ ܛܛܢܐ = بيت العمش)

ثم يواصل المرء مسيره حتى يصل قرية « باطناية » (٢) الواقعة في منتصف الطريق بين الموصل ودير الربان هرمزد . ونفوس هذه القرية زهاء ٢٠٠٠ نسمة ، وهم يشتغلون بالزراعة ، ولهم شهرة خاصة بصنع الحصران من البردي (الحلفاء) الذي يقتطعونه من الوديان المعشوشبة المجاورة لقريتهم .

وهي تلتحق ادارياً بناحية تلكيف . وفيها مدرسة اولية للبنين وارسالية لراهبات الدومنكان . وكما هو الحال في تلكيف من حيث الدين واللغة والماء .

ويتاح للمسافر ايضاً ان يعرّج شرقاً الى « دير مار ابراهام » (٣) الذي يبعد عن هذه القرية بمسافة قصيرة . وقد أعيد بناء هذا الدير بجانب الدير القديم الذي يصعد تاريخه الى الجيل السابع الميلادي . ولم يتبقّ من ذلك الدير القديم سوى بئره ، فقد تطاول عمرها بالنسبة لبقية اقسام الدير وتشكيلاته (٤) .

الآشوري الذي كان مستعملاً قديماً في هذه الديار .

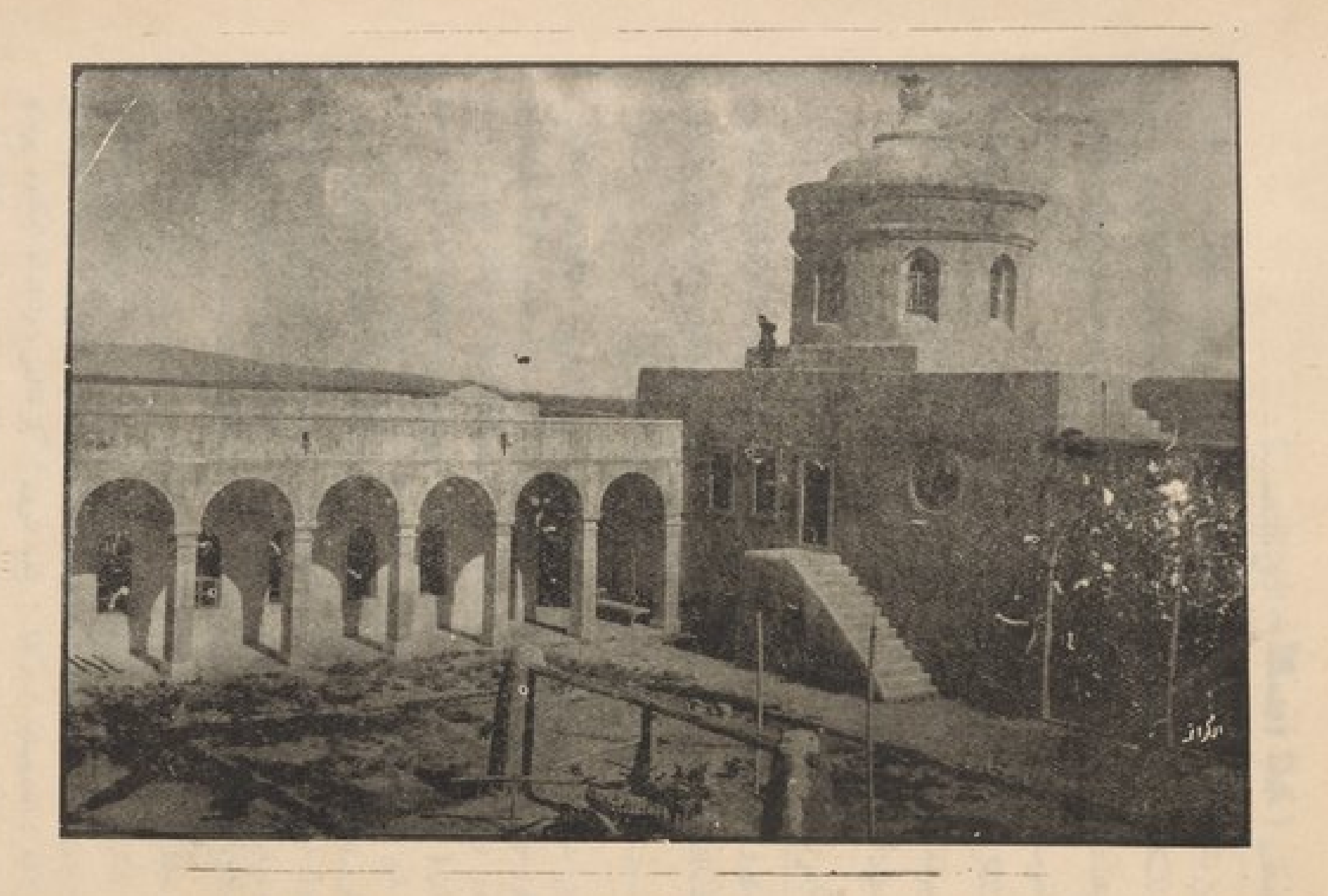
١) عن كنيسة تلكيف ، راجع النجم (١ : ٤٩) .

٢) هناك اسماء عديدة لقرى ومواقع مجاورة للموصل ، وكلها تحمل في مقدمة اسمائها « با » او « بي » وتُكتب هذه اللفظة دائماً في المخطوطات الكلدانية « بيت ܒܝܬ » . وقد تكون ناشئة عن اصل آشوري قديم . ومن امثلة ذلك : باقوفا . باصكليا . باعشداوا . باعذري . بي مريم وغيرها . . . راجع :

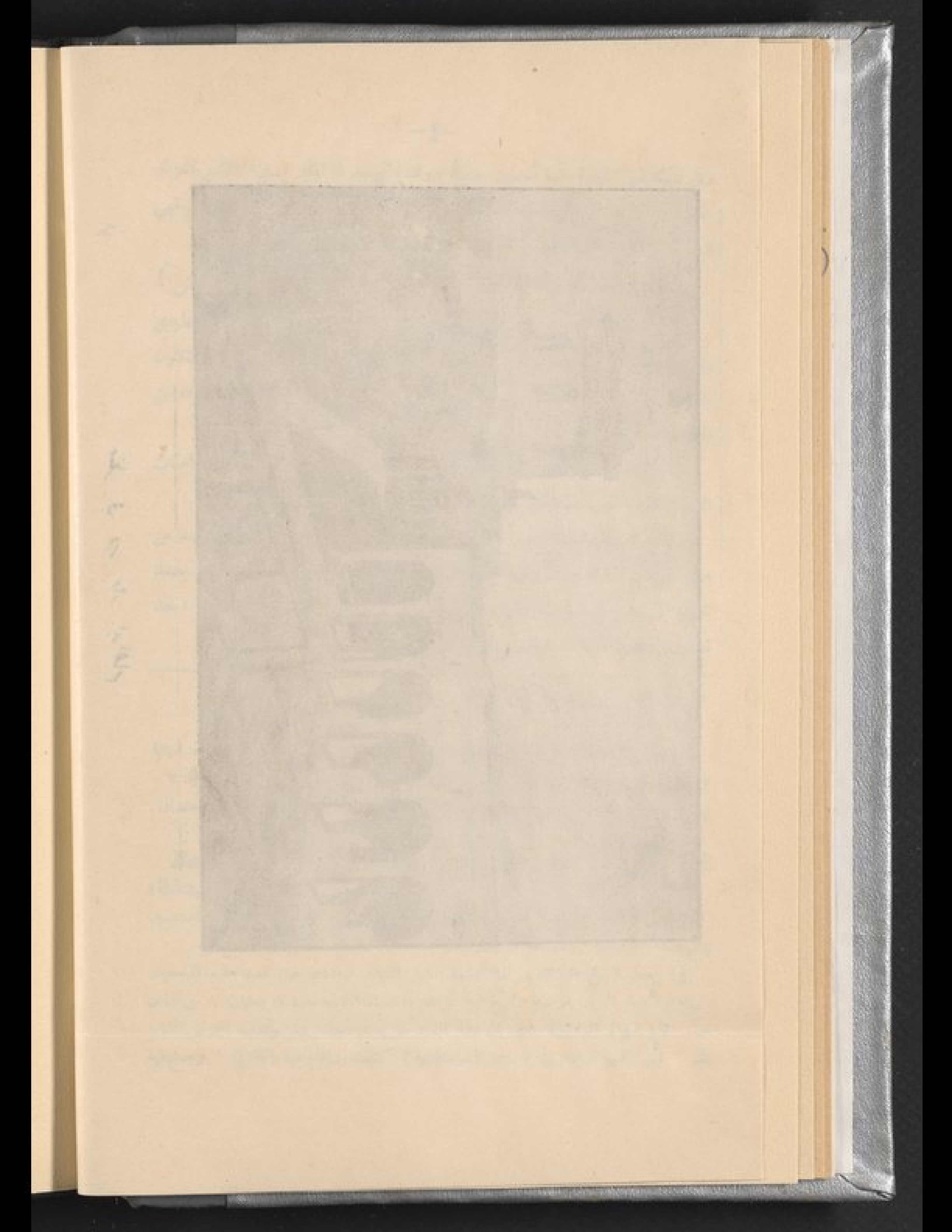
Badger : The Nestorians and their Rituals (Vol. I, 1852, P. 164).

٣) مار كلمة آرامية (ܡܪܝ) معناها السيد او القديس ، وهي لقب يُعطى للقديسين والرؤساء الروحيين كالأساقفة والبطاركة .

٤) يصعد تاريخ هذا الدير الى اواسط الجيل السابع الميلادي حينما قصد هذه البقعة مار ابراهام تلميذ الربان هرمزد وتفرّغ فيه للزهد والتنسك ، فتبعه عدد لا يستهان به من الناس حباً باتباع الحياة الرهبانية . غير ان هذا الدير خُرب فيما بعد . وفي منتصف القرن السابع عشر ، عمّر القس هرمزد بن نوردين (من باطناية) كنيسته واقام فيه القلالي ، وجمع فيه



منظر في دير مار ابراهام



تلسقف (ܬܠܐ ܙܩܝܦܐ = التل المنتصب) :

ومن باطناية يعود المسافر فيواصل سيره حتى يصل قرية تلسقف التي تلتحق اداريا بناحية تلكيف . وكانت في اوائل عهد الاحتلال البريطاني للعراق مركزاً لناحية خاصة بها . وقد ذكرها الحموي (١) بانها « قرية كبيرة من اعمال الموصل شرقي دجلة » . وتبلغ نفوسها زهاء ٣٠٠٠ نسمة ، ولغتهم السورث ايضاً .

ويشتغل اهالي هذه القرية بالزراعة ، وهم مشتهرون بصنع الازيار (حبوب الماء) مما يستخرجونه من الطين الخاص الموجود بعقار قريتهم . ويقع بجانبها تل صغير ، قد لا يبعد وجود آثار تاريخية فيه .

الكنود (وتسمى كَنْدَي) :

ولدى وصوله الى قرية تلسقف يتجلى امامه منظر الكنود (٢) فيقطع المسافة بينها وبين هذه الكنود بطريق مستوية ممهدة ، تخترقها السيارة بأقصى سرعتها حتى تدخل

مكتبة بقي منها الى الآن انجيل مخطوط بالخط الاسطرنجيلي البديع ، استنسخه الكاهن المذكور على نفقته . ولكن عندما حاصر طهماسب نادرشاه مدينة الموصل ، قتل رهبان هذا الدير ونهبه . ولحسن موقع هذا الدير بين القرى الكلدانية ، فكَّر البطريرك ايليا عبواليونان († ١٨٩٤) في امر تجديده فيُوشر بالعمل على يد الخوري عبد الأحد معمار باشي ، فبنى هذا الكنيسة مع قبتها ، ولكن لوفاة البطريرك توقف دولاب العمل ، حتى قام البطريرك الحالي يوسف عمانوئيل الثاني واكمل هذا البناء الفخم . وكانت غايته ان تكون فيه مدرسة تضم بين جدرانها شبيبة هذه القرى ، ولكن الظروف لم تؤاتِه على انجاز هذه الرغبة . اما حالة الدير الحاضرة فحسنة ، الا انه غير مأهول بالرهبان . (ملخصة عن مقال للأب عمانوئيل رسام في النجم ١ : ٤٢١ وما بعدها) .

١) معجم البلدان (٢ ; ٤٠١ ، طبعة مصر) .

٢) الكنود هي سلسلة تلال تتفاوت ارتفاعاً بين ١٠-٥٠ متراً عن السهول المجاورة وتمتد من جبل مقلوب شرقاً الى « طريق موصل – عين سفني » غرباً ، حيث هناك تقع القرى الآتية : الفرجسلية ، رَكابا ، شِف شرين ، كرخالص . وامتداد الكنود يوازي جبل القوش ، كأنها هي حاشية له . وقد ثبت وجود الفحم الحجري فيها . اما تركيبها فمن الصخر الرملي وبعضها من الكلسي والطيني . وكلها من الصخور الرسوبية . وفيها مجار مائية تغمرها المياه في الشتاء والربيع لكنها تشحّ وتفيض في الصيف .

في واد بين هذه الكنود ، فتساوى به الطريق ، وتتمعج يمنةً ويسرةً ، وترتفع هنا وتنخفض هناك ، وتضيق آونة حتى تكاد لا تكفي لمرور اكثر من السيارة نفسها ، وتنفرج أُخرى . . . ويُتاح للمسافر من إمتاع نظره بمناظر طبيعية هادئة جميلة : فمن مناظر التلال المختلفة الالوان الى الوديان ، الى المجاري المائية التي يكتنفها البردي والقصب والدفلاء وضروب شتى من النباتات والاعشاب البرية .

ولقد كانت الكنود في العهد السابق موطناً للصوص ومأوى لقطاع الطرق ، لكنها اصبحت في هذه السنوات آمنة وادعة لا يتتابها احد ممن تسوّل لهم النفس باطماع الغنيمة وذلك نظراً لما تبذله الحكومة من الاهتمام في توطيد الامن فيها واستتبابه ، فضربت على ايدي اللصوص وقطعت دابرهم . . .

الشرفيه :

وهكذا حتى يصل الى منتهى طريق الكنود ، فيجاور قرية صغيرة تُدعى «الشرفية» وهي من ممتلكات الدير ، مشيدة على قمة احدى تلال الكنود . ويفصل بينها وبين طريق السيارة واد عريض . وتتألف هذه القرية من بيوت بسيطة مشيدة بالاحجار والطين والقصب والاخشاب . وتلتحق ادارياً بناحية القوش . اما اهاليها الحاليون فمن بلدة القوش (١) ويبلغ عددهم نحو (٨٠) نسمة ، ويشتغل جميعهم بالزراعة .

القوش (ܐܠܗ ܩܘܫܝ = الله قوسي) :

وبعد انتهائه من الكنود وخروجه الى السهل ، لا يعتم حتى يمر بالقرب من رابية منفردة في السهل ويدعوها الاهالي هناك « كَرا » وهذه كلمة كردية معناها « تل » وقد زار هذا التل بعض علماء الآثار واستدلوا من مشاهدتهم له على وجود آثار تاريخية في جوفه ، لكنه لم يجر لحد الآنَ اي عمل من شأنه الكشف عما فيه من كنوز ودفائن ، ويمكن للسيارة ان تعرّج اليه ، وهو يقع في الجهة اليمنى من الطريق على بعد ٢٠٠ متراً

واذا ما وصل المسافر الى هنا وجد امامه بلدة القوش الجميلة رابضة كالاسد ، وهي

---

١) كانت الشرفية في مبدأ امرها قرية يسكنها الشعب اليزيدي ولا يزال فيها للآن بقايا مزار لهم يُدعى « الشيخ شرف الدين (?) » . ولكن لما امتلكها الدير قبل نحو ثلاثين سنة ، اخذ يتناقص سكانها الأصليون حتى خلت منهم جميعاً اذ تفرقوا بين القرى الاخرى .

واقعة في حمى سفح الجبل الذي تبتدئ به الجبال والمرتفعات الشمالية، والتي تشمخ فجأة في الجو كالجدار العالي ، فهي سقف العراق ، وقد وصفتها سائحة انكليزية بقولها :

« لقد ذكرتني هذه الارض بالرُبى التي في صقلية . فالحُلَّبية (١) تنمو هنا بوفرة كما هو الحال في كاتانيا اثناء الربيع ، فالارض مثل صقلية ، وهي مطرزة ومزركشة بالازهار والاوراد البرية من مختلف الاجناس والضروب » (٢) .

وبلدة القوش السمراء بجدرانها ، لا تُرى عن بُعد على الغالب من السهل المجاور لها بوضوح ، نظراً لمشابهة لونها للون الصخور المتشبثة بين عروقها والتواءاتها .

وهذه البلدة مشهورة لانها أنجبت في وقتٍ ما النبي ناحوم(٣) كاتب احد اسفار التوراة . وهي لا تزال تحتفظ بضريحه حتى اليوم . ومن الضروري للمتفرج على هذه البلدة الصغيرة ان يزور هذا الضريح ، وهو تحت إدارة ورعاية اليهود ، ويقوم بحراسته مقيم يهودي . وفوق القبر رق ملفوف اسطوانياً ومخطوط عليه سفر النبي ناحوم باللغة العبرية ، وعلى ظهر الملف يعثر الانسان على كلمة « الالقوشي » .

وفضلاً عن ذلك ، فان لالقوش شهرة أخرى قد تفوق شهرتها الاولى بالنبي ناحوم ، ونقصد بذلك دير الربان هرمزد (٤) .

وفي القوش ثلاث كنائس اثرية مهمة وهي : كنيسة مار ميخا النوهدري، وكنيسة مار كيوركيس الشهيد ، وكنيسة مريم العذراء (٥) .

---

١) الحُلَّبة **Spurge** نبات طبي واسمه العلمي ***Euphorbia*** وهو علَم على كل النباتات الفربيونية ، او كل نبت له لبن يسيل اذا قُطع . راجع : معجم اسماء النبات ، للدكتور احمد عيسى بك ، ص ٧٨ كلمة ١٩ .

٢) ***E.S.Stevens:By Tigris and Euphrates*** (1923, *P.* 77)

٣) راجع مقالتي : « بلدة القوش والنبي ناحوم » (النجم ٥ : ٤٠٣ - ٤٠٧) وكذلك كتاب : « نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق » ليوسف بك غنيمة (١٩٢٤، ص ٢١٣ - ٢١٥) .

٤) ربان كلمة كلدانية (ܪܒܢ) معناها راهب .

٥) من رام ان يطّلع على تاريخ هذه الكنائس ووضعها فليراجع مقالة الأب جبرائيل حنينا : ثلاث كنائس اثرية في القوش قرية ناحوم النبي (النجم ٤ : ٢٥٨ - ٢٦٢) .

ويبلغ سكان القوش نحو ٥٠٠٠ نسمة ، وهم مسيحيون ينتسبون الى الطائفة الكلدانية ويشتغلون بالزراعة والصناعة كالنجارة والحدادة والخياطة والصباغة والحياكة والبناء وغيرها ، كما ان بعضهم يشتغلون باستنساخ الكتب الكلدانية . وهم يتكلمون بالسورث ، وفيهم الكثير ممن يحسن العربية .

وفي القوش عدة ينابيع مائية — تحت مستوى سطح الارض — وعشرات الآبار ، وهي كائنة في الوديان المجاورة للبلدة . وقد اخذت دائرة بلديتها في اصلاح طرقاتها وتعبيدها وتبليطها .

ويشتهر اهلوها بشجاعتهم وقوة بأسهم وإبائهم ، الامر الذي قلما نجد مثيله بين اهالي القرى التي اوردنا شيئاً عنها سابقاً .

ولالقوش شهرة عظيمة بالبطيخ ، فلا يكاد يوجد في العراق ما يفوقه او يوازيه جودةً وطعماً (١) وفيها من الكروم عدد لا يستهان به .

دير السيدة (حافظة الزروع) :

على مسافة ميل شرقي القوش يقع « دير السيدة » . ويظهر من القوش ابيض نظيفاً محاطاً بالكروم . ويقع هذا الدير على هضبة قليلة الارتفاع . وهو مسوّر باسوار لتدفع عنه غائلة الطوارئ والحدثان . ويشتمل على ثلاث ساحات مربعة ومتصلة ببعضها . فالساحة الاولى تشتمل على القسم الخاص بالضيوف والزوار ، وفيها ايضاً مختلف البنايات التي تقوم بخدمات الدير ، ويتصل بهذه الساحة من الخارج ساحات اخرى للغنم وزرائب المواشي واصطبلات الدواب . . .

وفي احد جوانب الساحة الوسطية توجد كنيسة فخمة ، اما قلالي (صوامع) الرهبان

---

(١) انني اعتقد ان هذه الجودة في الطعم الموجودة ببطيخ القوش ، انما هي ناشئة عن وجود كميات عظيمة من جذور السوس (عرق السوس) في عقاراتها ، كما ان للتربة تأثيراً كبيراً في ذلك . والسوس نبت من الفصيلة البقلية ذو رائحة ذكية ، له جذور طويلة تغترز في الأرض . وهو ينبت في فصل الشتاء ويتكامل نموه في فصل الصيف ويُقلع في فصل الخريف بعد سقوط القطرة الأولى التي ترطب الأرض وتسهّل قلعه (انظر تقويم البشير لسنة ١٩٢٩ ، ص ٣٣٩) .

في الجهات الاخرى . وهناك في هـذا القسم ايضاً غرفتان وُضعت فيها مكتبة الدير النفيسة (١) . وفي هذه الساحة بستان صغيرة بها بعض الاشجار والازهار وبجانبها صهريج يستمد مياهه من الامطار المتحدرة من الجبال والسهول المجاورة للدير .

اما الساحة الثالثة — وهي الخلفية — فمخصصة للرهبان المبتدئين (٢) وهم التلامذة الذين لم يقدموا النذور الرهبانية ولا يزالون تحت التجربة . وفي هذه الساحة — كما في الوسطية — بستان صغيرة جميلة يقوم بتعهدها هولاء المبتدئون .

وتكاد تكون جميع بنايات الدير ذات طابقين . ويُتاح للانسان اذا ما وقف على سطح الدير ان يكوّن في ذهنه صورة عامة شاملة (٣) للدير .

وقد يجد المرء في هذا الدير بضعة عشر لوحة رخامية ، كُتب عليها بالاسطرنجيلية تواريخ إنشاء اقسام الدير (٤) .

وهناك نجد الرهبان الذين ابتعدوا عن العالم وانقطعوا عن الضوضاء ومخالطة الناس إلا فيما ندر ، متمتعين بهواء الجبال والرُبى ، ذلك الهواء النقي الذي يشفي العليل . فلا يمكنك ان ترى بين هولاء مَن هو منحرف الصحة او من تبدو عليه علائم المرض . كما ان الحياة الدينية البسيطة الهادئة قد عمت تلك البقعة .

ان الرهبنة في دير السيدة حديثة النشأة ، لابل ان الدير ذاته شيد في القرن التاسع عشر وانتهى من ذلك عام ١٨٥٨ (٥) .

اما الرهبانية الاساسية فهي في ذلك الدير القديم الذي نبغي الكتابة عنه ، ونقصد به دير الربان هرمزد .

---

١) سنأتي في الفصل الرابع من هذا الكتاب على بحث خاص بهذه المكتبة .

٢) ܡܬܚܦܛܢܐ - *Novices* ٣) *Panoramic View*

٤) قام الأب العلامة المستشرق فوستي *J. M. Vosté* بجمع هذه النصوص وترجمتها بالافرنسية مع تعليقات تجد ذلك في رسالته :

Les Inscriptions de Rabban Hormizd et de N.- D. des Semences (1930, *P.* 38-52).

٥) روى لي بعض الرجال المسنين من القوش ، انهم كانوا يجتمعون في صغرهم للعب في الساحة التي يشغلها الآن هذا الدير ، حيث لم يكن وقتئذ اية بناية هناك .

الفصل الثاني

دير الربان هرمزد

وادي الدير :

لابد من الوصول الى دير الربان هرمزد من اجتياز واديه . واذا ما ذكرنا هذا الوادي نكون قد أصبنا موقعاً طبيعياً حائزاً على درجة قصوى من العظمة والجمال .

ويمتد امام الوادي سهل خصيب واسع ينتهي عند سفوح الكنود . فاذا ما اتجه الزائر من دير السيدة وسار في ارض سهلة تميل الى الارتفاع شيئاً فشيئاً كلما قاربت الجبل يجابهه بعد مسيرة نصف ميل غور كبير واقع بين جبلين . وتقوم على جانبي هذا الغور (او الوادي) سلسلة جبال يبلغ ارتفاعها (٥٠٠ — ٨٠٠) متراً ، فكأن الخالق شاء بوضعها الحالي ان يفصلها عن بعضها ليكشف لنا عما فيها من طبقات سميكة متراكبة .

ومن هناك يمكنه ان يتبين عن بعد بناية ضاربة للاحمرار تُشرف على هوة سحيقة تحتها ، كأنها معلقة من فوقها ، تلك هي كنيسة الدير .

في بطن هذا الوادي مرتفع من الارض او بالاحرى نشز من الجبل يقوم عليه الدير المنيف ، كأنه برج من الابراج تحيط به صخور قد نبتت بين صدوعها وتشققاتها عناقيد الاعشاب الجبلية المتدلية . اما القمة المكتنفة للدير ، فتشرف بعظمتها على سهول الدير والقوش وسائر الضواحي المجاورة (١) .

وفوق ذرى الجبل يتراءى لك كأن العقبان في تصادم مستمر بالقبة السماوية لدى سباحتها في الفضاء بين اعالي اوكارها في هذه الشوامخ .

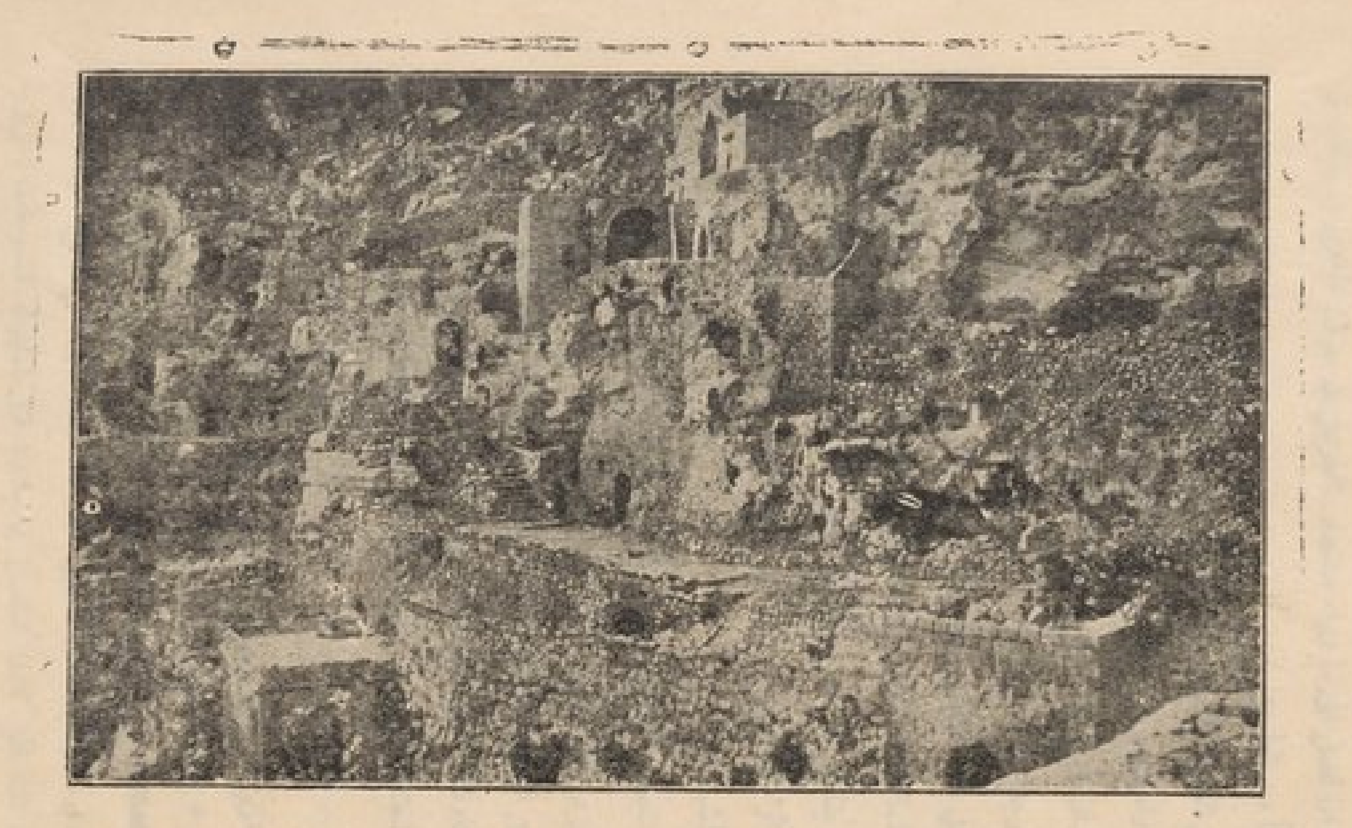
وهذا الوادي هو من اعظم وديان جبل « بيث عذري » (٢) وقمته التي في صدره أعلى مرتفع من هذا الجبل (٣) ويتضح للرائي هذا الارتفاع اذا ما وجّه نظره الى الجبل

---

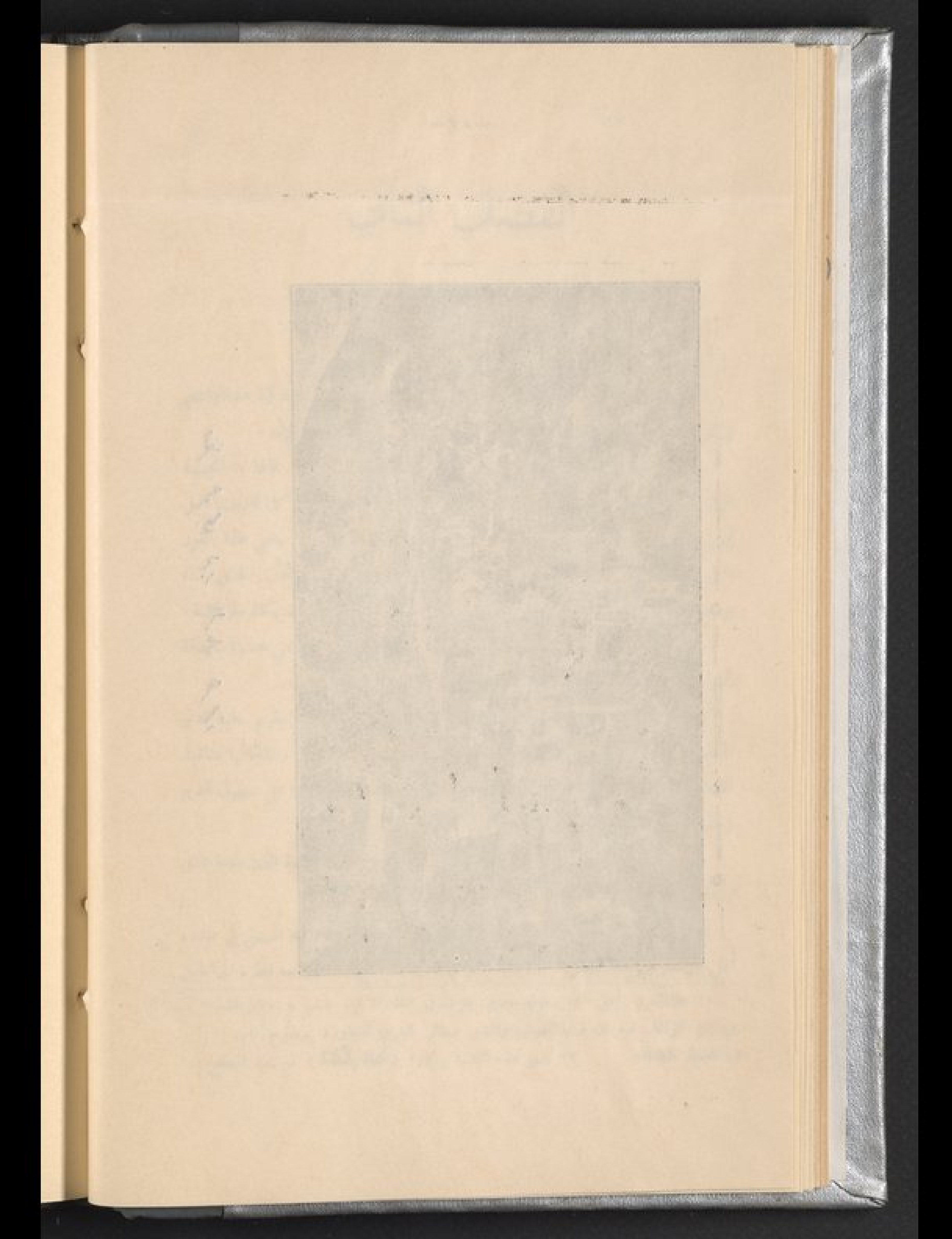
١) هنالك في أعلى الجبل موقع حصين يعرف في تلك الانحاء باسم « جناق قلعة » ! . ويمكن للواقف فيه ان يرى القوش والدير وسائر القرى المجاورة بوضوح تام .

٢) ܒܝܬ ܥܕܪܐ

٣) تُدعى هذه القمة بركارا (ܒܪ ܟܪܐ) اي شبه السطح .



منظر عمومي لدير الربان هرمزد



عندما يكون قادماً الى الدير او القوش من طريق الموصل .

اما الطريق فلتوية ووعرة في النصف الثاني منها . لكن النصف الاول قد عُبّد ورُصف بهمة الرهبان واهالي القوش (١) فتمكنوا من تنظيمه بهمة قعساء حتى اصبح في مقدور السيارات ان تصل الى ما وراء منتصف الطريق في جوف الوادي بسهولة دون ان تلقى عناء او عنتاً من الطريق .

وفي النية السعي لتعبيد ما تبقى من الطريق بحيث يمكن لمن يبغي زيارة الدير ان يصله وهو ممتطٍ سيارته دون ان يكابد مشقة الصعود الى اعالي الدير .

وكلما أمعن الانسان في السير وقطع شوطاً آخر فيها ، وجد ان ذلك الغور اخذ يتسع ويكبر ويتشعب ووجد ان هدفه – الدير – صار يزداد في نظره حجماً شيئاً فشيئاً .

وهناك ممر ثانٍ في هذا الوادي يؤدي الى الدير ويسمى « الدرب الفوقاني » وهو طريق وعرة ضيقة المسالك ، لكنها ذات مناظر طبيعية خلّابة نظراً لتعرّجها وضيقها بحيث ان عرضها قد يتقلص في بعض الاحيان حتى لا يزيد عن الشبر وكذا الغرابة في ارتفاعها ، اذ يهوي الوادي من جنبها الى عمق عظيم ، بينما الجبل من الجهة الثانية قد أمعن في الارتفاع والشموخ .

ويجد المرء في منتصف الوادي تقريباً محلاً طبيعياً للاستراحة وهو عبارة عن كهف قائم في جانب الوادى ويُطلق عليه « كافا سموقا » (٢) .

ويكتنف طريق الوادي سلسلة من الاشجار المتنوعة ، فهناك اشجار اللوز والبطم والبلوط والتين والطاوك والزيتون والصلما والسكيرا(٣) وغيرها . هذا عدا عن الحشائش والنباتات والورود المختلفة التي نذكر منها : شقائق النعمان والقرنفل البري والنفلة

---

١) راجع : « وادي دير ربان هرمزد العجيب وبطولة الاخوة الرهبان والألقوشيين » بقلم صحق (النجم ٣ : ٢٧٣ – ٢٧٧) .

٢] ܟܐܦܐ ܣܡܘܩܐ اي الكهف الأحمر لاحمرار صخره .

٣) توجد في وادي الدير السكيرا وهي شجيرات دود القز التي تصلح شرانقه لنسيج الأقمشة القزية المتينة تلك التي كانت تُستعمل في بلادنا قبل استيراد المنسوجات الحريرية الأجنبية واحتلالها لأسواقنا .

والخزام والكبر والخطمية والزنبق والسوسن والنرجس والسمرما (١) والباسورك (٢) والشكروكتا والزعتر والبابونج والحندقوق وغيرها مما لا يمكن حصره هنا (٣) .

فاذا اقبل الربيع وبسمت الطبيعة ، نبتت في ذلك الوادي ازهار شتى ، ولكن رياح الوادي المستبدة العاتية لا تفتأ ان تحاصرها وتضيق عليها الخناق من كل جانب ، فلا يدور الفلك دورة او دورتين حتى تنتثر اوراقها وتذبل فتستحيل غذاء صالحاً لما بعدها ، فتقوم رفيقاتها بنفس العمل فيُصبن بما أُصيبت به الاوليات . وهكذا تجد ان الوادي يكتظ ويزدحم بسلسلة من الازهار والرياحين ، فلا تذوي واحدة إلا وأعقبت وراءها اضعافها ، مما يمتع النظر ويريح الخاطر ... ولا غرو فان الازهار التي تنمو على الجبال تكون اكبر شكلاً وابهج لوناً مما ينمو في سائر الاماكن .

وعندما تعصف الرياح في انحاء الوادي وعلى قمم الجبال المحيطة به ، تخال انك مشرف على مجرى سيل جارف ، او ان هناك في الحضيض جنادل وشلالات ، نظراً لهديره وزمجرته اللذين يكسبان الموقع عظمة جديدة على عظمته .... فتأخذ الانسان نشوة من السرور ليس له من سبيل الى وصفها .

ولعل اجمل ما في الجبال روءْية المطر وهو ينهمر عليها ، والثلوج وهي تتساقط على الارض باحتراس وتوءْدة كأنها تختلس صوت معانقتها للارض . ولكن ، اذا ما انصرفت الزوابع الى مخابئها وعاد الجو الى صفائه وكفكفت السماء دموعها ، عندئذٍ تجد الصخور قد اغتسلت واستعادت بهاءها ، بعد هذا الكفاح والعراك . .

ومن متممات الجمال في هذا الوادي هو ما يحويه جوفه وفضاوءْه من حيوان طائر او دابٍ . فهناك يجد الصياد ضالته المنشودة في اقتناص الثعالب والارانب وتيس الجبل والدعلج، اما الطيور وتغريدها فما لا حاجة بنا الى الاستفاضة في وصفها، اذ هناك عشرات الانواع نخص بالذكر منها : العندليب والحجل والقبج والحمام والخطاف والعصافير المتنوعة، هذا عدا عن الطيور الجارحة كالنسر والصقر والبومة والباشق والغراب والعُقاب وغيرها .

---

١) السمرما نبات ذو زهر اصفر يُجنى ويُستعمل كالشاي .

٢) الباسورك (ويُدعى عندهم شُكَتي) نبات يؤكل ثمره في بغداد .

٣) لقد تمكنتُ اثناء زياراتي لهذا الدير من جمع وتجفيف ٢٧٦ نوعاً من النباتات المختلفة وضمها في مجموعة خاصة .

موقع الدير ومناخه :

يقع دير الربان هرمزد في الشمال الشرقي من القوش وفي الشمال من دير السيدة . وهو مؤسس على جبل بيث عذري المسمى ايضاً بجبل القوش، وهذا الجبل هو من سلسلة جبال قردو التي تكوّن السور الجبلي الكائن في شمال العراق .

ويبعد الدير عن القوش مسيرة خمسين دقيقة ، ونفس المسافة ايضاً عن دير السيدة ، وهو يقوم في صدر الوادي الذي وصفناه آنفاً ، فيرتفع في واجهة الصخر عند جرف يهوي من تحته الجبل فيشكل وادي الدير ، ويشمخ هذا الحرف الصخري على سهول القوش والقرى المجاورة معتزاً بتساميه وترفعه . . .

والدير بناء فخم تكاد تحتاط به الجبال الشاهقة من جميع اطرافه لولا انه حاول التملص من ذلك المأزق الحرج ، فتلمّس له منفذاً يتنفس منه الى السهول . فكان له ذلك من واجهته الجنوبية .

ويقع الدير عند خط طول (٤٣ درجة و ٧ دقائق) شرقاً ، وعرض (٣٦ درجة و ٤٢ دقيقة) شمالاً .

ووضعية الدير هلالية الشكل ، وتقع الكنيسة فى الوسط ، وعن يمينها ويسارها نجد صوامع الرهبان منتثرة هنا وهناك بين صخور الجبل ومنعطفاته .

ولو وقف الانسان في هذا الدير وأهوى ببصره الى قعر الوادي ثم رفع بصره بعدها الى قمة الجبل لناله العجب واخذته الدهشة من موقفه ، لانه يُلفي نفسه معلقاً بين السماء والارض . . .

وفي الدير غرفة خاصة بالديوان يتاح للجالس فيها ان يمتع نفسه بمنظر مهيب جميل قد لا يتاح له رؤية نظيره فى الكثير من البقاع . ومن هنا يُدرك القارئ اهمية موقع هذا الدير . فاذا تطلّع من نافذة الغرفة ، يكون قد اشرف على ذلك الوادي السحيق البعيد الغور ، ويكون قد ارتسمت فى مخيلته صورة واضحة لتلك الطريق الملتفة كأنها افعى تتلوى في قرار الوادي ، واذا ابعد النظر الى ما وراء الوادي وجد امامه بناية دير السيدة باجمل ما يمكن ان يراها ، فيجدها وقد تضاءلت على عظم سعتها وتقلصت فى نظره لابتعادها عنه ، حتى كأنها رسم تخطيطي على تلك الارض . واذا ما سرح نظره الى ما

وراء ذلك وحتى الافق يقع بصره على سهول ممرعة تزرع فيها الحبوب والخضر . واذا ما ابتعد ببصره نحو الجنوب الشرقي يجد جبل مقلوب (١) وقد شمخ بقمته على ذلك السهل الفسيح ، ويجد جبل بعشيقة وقد انبسط امامه واستطال حتى كاد يتسطح بالنسبة اليه .

وهناك يقع نظره على الوان جميلة للصخور والمزروعات والازهار والاعشاب . فمن احمر الى ازرق الى اخضر الى ارجواني الى غير ذلك من ضروب الالوان وشتى المناظر والصور ، فيساوره الحسد لهؤلاء الرهبان الذين قد نبذوا كل ما في هذا العالم من افراح وملذات وما يتخللها من شهوات واباطيل وقنعوا بما في هذه المناظر الهادئة العظيمة معاً من جمال وبهاء ، واكتفوا بإمتاع نفوسهم واملاء رغباتهم وإشباع امانيهم من محبة موجدها وباريها ، ومن التقرب والتحبب اليه باصعب الوسائل دونها خرط القتاد ...

ولهذا فلا عجب اذا ما الفيناهم مسرورين جذلين من وضعهم الراهن .

***

وهنا بعد ان علمنا ما علمنا عن موقع الدير ، نرانا مسوقين الى ايراد كلمة عن مناخه : يعلو هذا الدير عن سطح البحر (٢٧٠٠) قدم ، ولهذا فدرجة حرارته في الصيف منخفضة فانها لا ترتفع في أحر ايام الصيف عن ٢٥ درجة سنتغرادية . ومن هنا يُدرك القارئ ما لهذا الدير من جودة في المناخ واعتدال في الهواء ، الامر الذي يساعد على اعتباره كمصيف جميل وقريب من المصايف العراقية .

وتهب عليه الرياح الغربية والشرقية في اوقات متفاوتة ، اما الشمالية فلا يمكن ان تصله رأساً نظراً لوقوف الجبل صداً منيعاً لتيارها . وتسقط عليه الثلوج في الكثير من

---

١) في واجهة هذا الجبل الجنوبية دير قديم يُدعى « دير مار متى الشيخ » وهو ذو بناء فخم ، وقد ورد ذكره في كتب الجغرافية لدى العرب ، نورد منها ما ذكره ياقوت الحموي في معجمه بقوله : « دير بشرقي الموصل ، على جبل شامخ يقال له جبل متى من استشرفه نظر الى رستاق نينوى والمرج ، وهو حسن البناء ، واكثر بيوته منقورة في الصخر وفيه نحو مائة راهب . بينه وبين الموصل سبعة فراسخ » اهـ . راجع عنه : « 10 p « *Couvent de Mar Matta L'Anchorète* ، وكذلك النسخة العربية « دير مار متى الشيخ » بقلم السيد اغناطيوس افرام الثاني (بيروت ١٩٢٨ ، ١٧ ص) ؛ وايضاً في مجلة النجم (١ : ٥١٩) .

السنين ، فتكسبه حلة بيضاء نقية ، على ان هـــذه الثلوج ليست من الكثرة بمكان كالتي نعهدها في اقاصي الجبال الشمالية من العراق .

ابواب الدير — تحصيناته — حراسته :

بعد مسير ساعة او بعض ساعة في هبوط وصعود ، وتعرّج والتواء ، يصل المرء الى ذلك الصرح العظيم او بالاحرى الى هذا الوكن المتسلق — دير الربان هرمزد .

وقُبيل دخول الزائر لباب الدير الخارجي ، يجد نفسه ماشياً في طريق مرصوفة بقطع الاحجار والصخور على غير نظام او ترتيب ، فاذا وصل الباب ودخل الدهليز احسّ بشيْ من الراحة واستولى عليه السرور وتملكته هيبة . وحقاً انها لساعة ممتعة تلك الساعة التي يصل فيها المرء بعد سفر مضن الى محل هاديْ كهذا الدير ! . . .

ويلاحظ الداخل في هذا الباب صورة أفعى (١) بارزة منحـــوتة على الركن الايمن من الباب . فاذا اجتازه سار في طريق تتعرّج به يمنة فيسرة حـــتى تستقبله درج ليست على نظام ، واذا به امام باب ثان، اصغر من الاول فيدخله ثم يلتفت فيجد عن يمينه باباً ثالثاً ، ويلاحظ المرء فوق هذا الباب كتابة باللغة الكلدانية هذه ترجمتها :

« قد بُني هذا الباب مع القلايات الفوقانية والتحتانية والدخلان في ايام مار عمانوئيل البطريرك وباهتمام الأب ايليا المدبر ، في سنة ١٩٠٢ للمسيح » (٢)

ويجد بجانب هذا الباب نافذة على ركنها العلوي قطعتان ، كُتب على العليا منهـــا (التي فيها صورة ملاك ومجمرة) ما ترجمته :

« هذه - اي الصخرة المنحوتة - عمل جرجس ابن الشماس يوسف حنوشي ؛ وهـــو مهندس معاري واستاذ في البناء . قد تعمَّر وتكمَّل هذا المدار مع الدخل والغرفة الداخلية من قِبَل القس انطموس وكيل الدير وباهتمامه . في سنة ١٨٨٣ ميلادية في اليوم الثامن من شهر نيسان » (٣)

---

(١) رسم الأفعى هنا يدل على الحكمة والتعقل .

(٢) وهذا نصها :

ܐܬܒܢܝ ܬܪܥܐ ܗܢܐ ܥܡ ܩܠܝܬܐ ܥܠܝܝܬܐ ܘܬܚܬܝܬܐ ܘܕܪܬܐ ܒܝܘܡܝ ܡܪܝ ܥܡܢܘܐܝܠ ܦܛܪܝܪܟܐ ܘܒܝܕ ܝܨܝܦܘܬܐ ܕܐܒܐ ܐܠܝܐ ܡܕܒܪܢܐ . ܫܢܬ ܠܡܫܝܚܐ

(٣) وهذا نصها :

ܗܕܐ ܟܐܦܐ ܕܓܠܝܦܐ ܥܒܕ ܓܘܪܓܝܣ ܒܪ ܫܡܫܐ ܝܘܣܦ ܚܢܘܫ . ܐܬܬܩܢ ܘܐܫܬܠܡ ܗܢܐ ܡܥܠܬܐ ܥܡ ܩܠܝܬܐ ܓܘܝܬܐ ܒܝܕ ܩܫܝܫܐ ܐܢܛܠܡܘܣ ܡܕܒܪܢܐ ܘܒܝܨܝܦܘܬܗ . ܫܢܬ ܒܬܡܢܝܐ ܒܢܝܣܢ

وعلى القطعة التحتانية كُتب ما ترجمته :

« قد كمل مسكن الحياة للآباء الموميين – الرؤساء – جبرائيل الذي وضع الأساس وحنا وعمانوئيل الرفيقين ، بواسطة الرئيس المخصوص الأب ابراهيم ساوخي في سنة ١٨٨٣ للمسيح المعترف به كشخص ممجد » (١)

ثم يعبر هذا الباب الثالث ولا يعتم حتى يجد نفسه امام درج أُخرى فيصعدها ، واذا به امام غرفة الديوان (٢) حيث يجلس فيها ويستعيد نشاطه . ويمكنه ان يجد من رهبان وخدَمه احسن مقابلة وترحيب ، الامر الذي ينسيه ما عاناه من مشاق اثناء الارتقاء الى الدير .

وهناك في شرق الدير بابان آخران احدهما علوي والآخر سفلي يؤديان الى طريق كرم الدير او طريق وادي الدير (العلوي الضيق) وهما لا يُستعملان الآن إلا لهذا الغرض .

على ان السفلي كان فيما مضى من السنين الباب الرئيسي للدير ، عندما كانت الكنيسة تشغل منتصف الدير . اما وان الزلازل وسائر المؤثرات الطبيعية قد دمّرت لابل اسرفت في تدمير القسم الشرقي من الدير ، فقد اصبح هذا الباب مهملاً بعد اتخاذ الباب الرئيسي الجديد المنحوت عليه صورة الافعى . ولا يزال الرهبان يُطلقون عليه الى هذا اليوم « الباب القديم » .

وثمة باب آخر يؤدي الى الكنيسة وساحتها وهو باب صغير يضطر الداخل فيه الى ان ينحني لكيلا يصطدم رأسه به . فاذا جاء المساء بظلامه او داهم الدير خطرٌ ، تكون هذه الابواب قد أوصدت جميعاً لتمنع بذلك ما يمكن حدوثه من تعد وماينجم عنه من اضرار .

وقد وجد الدير بعد الاختبار الطويل ان احسن خطة يتبعها تجاه القادمين اليه وحتى

ܘܗܕܐ ܥܠ ܐܒܢܐ ܡܫܝܢܬܐ ܕܐܬܓܠܦܬ ܫܢܬܐ ܕܝܠܗ ܘܐܢܫ ܒܟܬܒܗ̇ ܒܫܢܬ
ܐܦܘܓ ܠܡܫܝܚܐ ܕܐܬܝܠܕ ܒܒܣܪ .

١) وهذا نصها :

ܐܫܬܡܠܝ ܡܫܟܢܐ ܕܚܝܐ . ܠܐܒܗ̈ܬܐ ܓܢܝܙܐ . ܪ̈ܝܫܢܐ . ܓܒܪܐܝܠ ܕܣܡ ܫܬܐܣܬܐ
ܘܝܘܚܢܢ ܘܥܡܢܘܐܝܠ ܚܒܪ̈ܐ . ܒܝܕ ܪܝܫܐ ܡܫܬܡܗܝܢܐ ܐܒܐ ܐܒܪܗܡ ܣܐܘܟܝ .
ܒܫܢܬ ܐܦܘܓ ܠܡܫܝܚܐ ܕܡܫܬܘܕܝܐ ܒܩܢܘܡܐ ܡܫܒܚܐ .

٢) راجع وصف موقعها صحيفة ١٣ من هذا الكتاب .

من اعدائه ايضاً ، هي ان يفتح ابوابه على مصراعيها لكل آت. مهما اختلف دينه اوملته ويقدّم له يد المعونة مما يحتاجه من طعام وراحة ومأوى .

والسبب في ذلك ان الدير متصل بالجبل من جهته الشمالية بصورة مباشرة . فليس هناك اي جدار او حاجز يفصلها عن بعضها . فلو أتيح لشخص ما ان يتسلق الجبل فوق الدير ، لوجد نفسه حتماً نازلاً في الدير . ومن هنا مركز الخطر على هذه البقعة .

اما من جهة الوادي ، فلما كانت الطريق المؤدية اليه منحدرة وضيقة وذات التواءات حادة ، فقد كان من السهل المدافعة عنه ضد من يبغي مهاجمته او تسول له النفس بانتهاك حرمته ، وخاصة لان الدير مسوّر بجدران ضخمة متينة ومرتفعة ايضاً ، فهي تقيه شر صدمات المهاجين .

وتقوم كلاب الدير الامينة اليقظة بحراسة الرهبان المنعزلين، فهي لا تفتأ عن مواصلة نباحها لدى رؤيتها شبحاً يخترق مسالك الوادي ، فهي تتربص للمارين من هناك بكل انتباه وتيقظ ، فتنبح بصوت جهوري تملأ اصداؤه ارجاء الجبل والوادي معاً ، فيظهر الصوت ضخماً ممتلئاً . وفي نباح هذه الكلاب دليل حاسم لدى الرهبان على قدوم طارق جديد للدير .

كنيسة الدير :

يمكننا تشبيه الدير عموماً بنسر قد نشر جناحيه : فكنيسة الدير تمثل جسم النسر ، وصوامع الرهبان الممتدة عن يمين ويسار الكنيسة تمثل الجناحين .

فالكنيسة اذاً واقعة في منتصف الدير . واذا ما قلنا « منتصف » فلا يتصوّرنّ القارئ بان هنالك ساحة ذات طول وعرض متماثلين او قريبين من التماثل وان الكنيسة في وسطها ... انما تقع الكنيسة في منتصف شريط من الارض ، فالبقعة التي يشغلها الدير مستطيلة الشكل ، تمتد من الشرق الى الغرب في صدر الوادي على مسافة قد تبلغ الخمسمائة متر طولاً !...

وتبتعد الكنيسة عن الدير بمسافة ، اذ يفصل بينها ممر يبلغ طوله سبعين قدماً ، ويحيط بالكنيسة وساحتها سور ينفذ منه باب صغير ينزل منه بعدة درجات مؤدية الى

صحن الكنيسة . وهو ساحة فسيحة طولها خمسون متراً وعرضها بقدر نصف ذلك تقريباً .

اما الكنيسة نفسها ، فقد نخطيء اذا ما اسميناها بكنيسة ، لانها تتألف من عدة كنائس صغيرة (١) الواحدة مجاورة للاخرى ومتصلة بها من الداخل ، فهي بناية واحدة ذات شعب وتبلغ هذه الشعب الست عداً . وفيا يلي وصف لكل منها :

١ـ هيكل الثالوث الاقدس :

هذه هي اعظم كنائس الدير اتساعاً ، ولقد كانت منذ سنين قلائل متداعية ومائلة للخراب نظراً لتطاول عهدها . فاهتمت الرئاسة العليا للدير وقتئذ (٢) بهدمها واعادة بنائها ، فأضحت كنيسة جميلة . ولهذه الكنيسة مذبح ذو قبة مرتفعة فيها كوّة تسمح للنور بان ينفذ الى الداخل فيبدّد ما فيها من ظلام . اما البوابة الحجرية للمذبح فقد أبقيت على حالها ، وهي منقوشة برسوم ملونة . وفي أعلى درجات القُدس (المحراب) منقوش حية غريبة الشكل مع رأس تمساح ، وهي ملونة بالاخضر مع لسان وأعين قرمزية ويقابلها نمر ملوّن بالاحمر والاخضر ، وتحت هذه المناظر توجد نقوش ملونة بالاصفر والاسود .

وعدا عما ذكرنا من النقوش والزخارف الموجودة في المذبح، فان فيه كتابات كلدانية هذه ترجمتها :

« اجواق الملائكة في العلاء، في قدس الأقداس يقدسون طبيعتك الأبدية بخوف ورعدة؛ وفي الكنيسة المنتخبة جامعة المائتين يعطونك المجد في يوم التكريس .

« المذبح نار ؛ المقدس نار ؛ نار في نار ؛ تحيط به النار . ليتحذّر الكهنة من النار المحفوظة خوف السقوط فيها والاشتعال فيها الى الأبد » (٣) .

---

١) Chapels

٢) وكان ذلك على عهد الرئيس العام الأبا يوسف داديشوع غنار .

٣) وهذا نصها :

ܓܘܕ̈ܐ ܕܡܠܐܟܐ ܠܥܠ ܒܩܘܕܫ ܩܘܕ̈ܫܐ . ܒܕܚܠܬܐ ܘܒܪܬܝܬܐ ܡܩܕܫܝܢ ܠܟܝܢܟ ܡܠܠܝܐ . ܘܒܥܕܬܐ ܓܒܝܬܐ ܟܢܫ̈ܐ ܕܒܢܝ̈ܢܫܐ . ܒܝܘܡܐ ܕܩܘܕܫܐ ܫܘܒܚܐ ܝܗܒܝܢ ܠܟ .

ܡܕܒܚܐ ܢܘܪܐ . ܘܩܕܫ ܩܘܕ̈ܫܐ ܢܘܪܐ . ܢܘܪܐ ܒܓܘ ܢܘܪܐ . ܢܘܪܐ ܚܕܪܐ ܠܗ . ܢܙܕܗܪܘܢ ܟܗ̈ܢܐ ܡܢ ܢܘܪܐ ܚܡܝܡܬܐ ܕܠܐ ܢܦܠܘܢ ܒܓܘܗ ܘܢܐܩܕܘܢ ܒܗ ܠܥܠܡܝܢ .

ان هذه الكتابة موجودة على باب المذبح ، وهي مقتبسة من الحوذرا (الفرض الكلداني) في فرض المساء في السابوع الثامن بعد الدنح . ثم نجد هناك ما ترجمته :

« الكروبيون والسرافيون ورؤساء الملائكة يقومون امام مذبحك بخوف ورعدة يحدقون بالكاهن الذي يكسر ويوزع جسد المسيح لمغفرة الخطايا » .

(ملاحظة : هذه الجملة مقتبسة من القداس الكلداني الاعتيادي ، وتُقال بعد رفعة الاشكال المقدسة) .

« ايها الاب الذي قدّست المذبح القديم المصنوع من موسى الكبير ، قدّس برحمتك هذا المذبح واعطِنا بواسطته نعمة وغفراناً »

« تجديد وتكميل باب هذا المذبح المقدّس صار في ايام ابي الآباء مار بيوس السابع بابا رومية في السنة الحادية عشرة منذ تأسيس الدير (اي السنة الحادية عشرة من افتتاح الدير ١٨٠٨–١٨١٨) المجد للذي اعطى القوة »

« بأيدي اليشاع النبي القدّس ، قدّستَ الهيكل واعطيتَ الحياة للولد . قدّس اذاً هذا المذبح بنوع خاص لكي نكرمك ونقدّم لك عليه الذبيحة .

« يا ميخائيل الذي خلّصتَ الشعب العبراني ، ويا جبرائيل الذي بشّرتَ بميلاد العلي ، ويا رافائيل الذي ساعدتَ طوبيا المختار انقذونا من كل شهوة (رديئة) ومن كل عدو . في سنة ١٨١٨ للمسيح » (١) .

---

١) وهذا نصها الكلداني :

ܟܪ̈ܘܒܐ ܘܣܪ̈ܦܐ ܘܪ̈ܫܝ ܡܠܐܟ̈ܐ ܒܕܚܠܬܐ ܘܪܬܝܬܐ ܩܝܡܝܢ ܩܕܡ ܡܕܒܚܟ ·
ܘܚܝܪܝܢ ܒܗ ܒܟܗܢܐ ܕܩܨܐ ܘܡܦܠܓ ܦܓܪܗ ܕܡܫܝܚܐ ܠܚܘܣܝܐ ܕܚܘ̈ܒܐ
ܐܒܐ ܕܩܕܫܬ ܡܕܒܚܐ ܥܬܝܩܐ · ܗܘ ܕܥܒܝܕ ܗܘܐ ܒܝܕ ܡܘܫܐ ܪܒܐ .
ܩܕܫ ܒܪܚܡܘܗܝ ܠܗܢܐ ܡܕܒܚܐ ܚܕܬܐ . ܘܗܒ ܠܢ ܒܝܕܗ ܛܝܒܘܬܐ ܘܚܘܣܝܐ .
ܗܘܬ ܠܗ ܚܘܕܬܗ ܘܫܘܡܠܝܗ ܕܬܪܥܐ ܕܗܢܐ ܡܕܒܚܐ ܩܕܝܫܐ ܒܝܘܡܝ
ܐܒܐ ܕܐܒܗ̈ܬܐ ܡܪܝ ܦܝܘܣ ܫܒܝܥܝܐ ܦܦܐ ܕܪܘܡܝ ܒܫܢܬܐ ܚܕܥܣܪܐ ܕܫܘܪܝ
ܕܝܪܐ . ܫܘ . ܘܬܫܒܘܚܬܐ ܠܝܗܘܒ ܚܝܠܐ .
ܒܐܝ̈ܕܝ ܐܠܝܫܥ ܢܒܝܐ ܩܕܝܫܐ . ܩܕܫܬ ܠܗܝܟܠܐ . ܘܝܗܒܬ ܠܛܠܝܐ
ܚܝ̈ܐ . ܩܕܫ ܗܟܝܠ ܡܕܒܚܐ ܗܢܐ ܒܝܚܝܕܝܘܬܐ . ܕܢܣܓܘܕ ܠܟ ܘܢܩܪܒ
ܥܠܘܗܝ ܕܒܚܬܐ .
ܡܝܟܐܝܠ ܕܦܪܩܬ ܠܥܡܐ ܥܒܪܝܐ . ܘܓܒܪܐܝܠ ܕܣܒܪܬ ܝܠܕܗ ܕܥܠܝܐ .
ܘܪܘܦܐܝܠ ܕܥܕܪܬ ܠܛܘܒܝܐ ܓܒܝܐ . ܦܨܘܢܝ ܡܢ ܟܠ ܪܓܬܐ ܘܒܥܠܕܒܒܐ .
ܒܫܢܬ ܐܘܬܚ ܡܫܝܚܝܬܐ .

وعلى الجدار المقابل لباب الكنيسة يجد المرء لوحتين كبيرتين من الرخام كتب على العليا منها بالكلدانية ما ترجمته :

« نُعلم بان هذا الهيكل هو على اسم الثالوث الاقدس كان قد وقع بزلزال سنة ١٩٧٧ يونانية (١٦٦٦ م) وتجدد في سنة ١٩٧٨ (ي) وايضاً كان قد تأسس سنة ١٨٤٦ م ثم رُصف وازدان باب مذبحه برئاسة الاب عمانوئيل سنة ١٨٤٩ . وكنيسة الكرستية التي على اسم الاربعة الانجيليين كانت قد بُنيت من اسها بهمة ابينا الطوباوي الانبا جبرائيل دنبو مجدد رهبنتنا سنة ١٨٢٠ للمسيح . والآن اقيم هذا الهيكل من اساساته والرواق الذي امامه واربع قلالي (غرف) التي تعلو هذا الرواق مع تجديد كنيسة الانجيليين اللاصقة له في ايام رُعاة الكنيسة الساهرين مار بيوس الحادي عشر بابا رومية ومار عمانوئيل الثاني جاثليق بطريرك بابل على الكلدان ومار انطونان درايه القاصد الرسولي ومار يوسف غنيمة الوكيل البطريركي بهمة الانبا يوسف داديشوع نجار الرئيس العام على الاديرة الكلدانية وبتعب ونصب الآباء والاخوة الرهبان ، بواسطة المصاريف التي قسم منها قدم من الكرسي الرسولي المقدس ، والقسم الاعظم من الابرشية البطريركية وبقية الابرشيات الكلدانية بواسطة الرئيس العام المذكور الذي دار وجمع المساعدة لهذه العمارة مدة سنة ونصف . وبسبب قلة المياه في الدير جلبنا الماء من عين خاتونية التي تبعد عن الدير مسيرة ساعة واحدة بتعب عظيم . وتكمَّل هذا البُنيان كله بمدة سنة واحدة التي هي سنة ١٩٣٠ للمسيح في شهر تموز .

« ابلحد جنام جمة الموصلي رئيس المهندسين ، والكاتب الشماس يوسف هومو » .

اما اللوحة السفلى فهي تاريخ لقبر جبرائيل دنبو وهذه ترجمتها :

« يسوع المسيح المحبوب ، خالق حياتنا ، وابن الله ، امنح تنعات ملكوتك لابينا جبرائيل .

« انه قد اشتغل وتعب في كرمك من الصباح حتى المساء . وكان غيورًا على مجد اسمك بلا ملل ولا راحة . اعتنق صليبك ، واجتاز الحرب الموصوفة في انجيلك ، الحرب التي انت رئيسها ، ولهذا اجا الرب ، حسب وعدك وكلامك المقدس ، اعطِهِ اكليل المجد الذي هو اكليلك الآن .

« لقد امات جسده بسهر الليل المتواصل ، وقمع امياله بالصوم والصلوات ، وزيّن شخصه بكل الفضائل متسلحاً بالغيرة لتهذيب شعبه . امنحه يا رب جزاء ومكافأة اتعابه التنعّم الذي لا ينتهي ابدًا مع انطونيوس رفيقه .

« في سنة ١٨٠٨ جدّد هذا الرجل في شعبنا الكلداني القانون الخلاصي والحياة السامية للحالة الرهبانية سالكاً في كل شيء كما ينبغي . وبعد ظلمات هرطقة نسطور ، ابرق في كنيستنا ضياء شخصه الصالح .

« وبعد ان أتمّ وزناته ، واكمل سعيه ، ودرّب ابناءه على قوانينه ، وركّز

تجارته (الروحية) بنوع ثابت ، استدعاه سيده من هذه الحياة بالقتل ، منعماً عليه بمنة كبيرته . يا يسوع الذي مجّدت شهداءك واعطيتهم الفرح في ملكوتك ، تنازل واجعله ان يتصل بهذه الجوقة المجيدة ويشاركهم نصيبهم .

« مؤسس هذا الدير ، بارح هذا العالم سنة ١٨٣٢ . كان رجلاً بلا عيب ، كاهناً تقياً ، رفيقاً ومماثلاً لأنطونيوس الكبير والشهيد . انتهى » (١)

(ملاحظة : سنأتي على ذكر حياة الاب جبرائيل دنبو في بحثنا عن تاريخ الدير) .

٢ــ كنيسة مار بطرس وبولس والاربعة الانجيليين :

يرى المصعد الى هذا الدير بناية تميل الى الاحمرار المشابه لِلون الدم الفاتح، ويتجلى له هذا اللون خاصة عندما تسطع عليه اشعة الشمس .

---

١) وهذا النص الكلداني :

[illegible]

ان هذه البناية الحمراء والتي تتألف واجهتها الملونة من الحجر الرملي الاحمر (١) انما هي كنيسة مار بطرس وبولس والاربعة الانجيليين .

وتوجد نقوش غريبة متفرقة هنا وهناك على بعض الكتل التي يتألف منها جدار الكنيسة الخارجي . فنجد من جهة الجنوب بطتين متقابلتين وصليبين ماالطيين ورقما من الزخارف و كتابات هذه ترجمتها :

« قد بني هذا الجدار سنة ١٨٧٠ يونانية (١٥٥٩ م) في زمان مار ايليا الجاثاليق بعناية القس اسحق .

« وقد قامت بنفقات هذا الجدار من مالها الخاص الراهبة (٢) مريم الأربيلية (٣) »

وعلى اللوحة المجاورة لها كتب :

« في رئاسة (ادارة) الراهب عيسى الألقوشي ، والمهندس المعاري سليمان من بريجيا قرية النحات ، اي اخو الكاتب الخاطئ ايشوعياب مطران صوبا وارمينيا ، صلوا لأجله » (٤)

اما من الغرب فنجد بعض الرسوم الزخرفية و كتابة اخرى هذه ترجمتها :

---

١) ان الحجر الرملي الأحمر **Red Sandstone** هو صخر مكوّن من حُبيبات من الكوارتز مسك بعضها بعضاً . وتتميز الأحجار الرملية بعضها عن بعض باختلاف المادة التي تُحدث هذا التماسك . [راجع كتاب الدكتور حسن صادق : الجيولوجيا ص٦٨-٦٩).

٢) في النص الذي اورده الأب فوستي (راجع رسالته :

***Les Inscriptions de Rabban Hormizd et d N.-D. des Semences prés d'Alqosh* (*p* 9, *No.* 11 *a*)**

وكذلك الاب اسطيفان كجو (راجع بحثه في النجم ٣ : ١٢٥) نجد انها عوض كلمة « الراهبة » قد كتبا « ابنة قيمي » . والحال ان النص الأصلي لهذه القطعة انما يشير الى كلمة **ܒܪܬ ܩܝܡܐ** لا **ܒܪܬ ܩܝܡܐ** ، كما وجدت ذلك في نص كتابي آخر محفوظ بالدير .

٣) وهذا نصها :

ܐܬܒܢܝ ܫܘܪܐ ܗܢܐ ܒܫܢܬ ܐܦܥ ܠܝܘ̈ܢܝܐ . ܒܝܘܡܝ ܡܪܝ ܐܠܝܐ ܦܛܪܝܪܟܐ ܒܝܕ ܟܗܢܐ ܡܫܒܚܐ ܐܝܣܚܩ . ܘܗܘܬ ܒܢܦܩܬܐ ܕܫܘܪܐ ܗܢܐ ܡܢ ܩܢܝܢܗ ܕܝܠܗ ܡܪܬ ܡܪܝܡ ܕܝܪܝܬܐ ܐܪܒܠܝܬܐ .

٤) وهذا نصها :

ܒܡܕܒܪܢܘܬ ܪܒܢ ܥܝܣܐ ܐܠܩܘܫܝܐ ܘܐܪܕܝܟܠܐ ܫܠܝܡܘܢ ܡܢ ܒܪܝܓܝܐ ܩܪܝܬܐ ܕܢܚܫܐ ܐܚܘܗܝ ܕܝܢ ܕܟܬܘܒܐ ܚܛܝܐ ܝܫܘܥܝܗܒ ܡܝܛܪܦܘܠܝܛܐ ܕܨܘܒܐ ܘܕܐܪܡܢܝܐ . ܨܠܘ ܥܠܘܗܝ .

« مت بمكانك ، ولا تبقَ ابداً » (١)

وفي الشمال حيث يوجد باب الكنيسة، نعثر على صورة افعى وبعض الزخارف الاخرى على ان هذه الكتابات او الرسوم او النقوش ليست من نوع الطلاء ، انما هي رسوم منحوتة وبارزة في صخر الجدار .

وقد كانت حالة هذه الكنيسة سابقاً تماثل حالة رفيقتها الاولى من حيث القدمية والتداعي فأُعيد بناؤها . اما الجدار الخارجي الاحمر والمؤلف من صخور منتظمة ومشيدة بصورة جميلة من الاسفل حتى الاعلى ، فقد أُبقي على حالته دون اي تغيير .

وقد كانت بنايتها السابقة تشتمل من الداخل على نقوش وكتابات كثيرة ، لكنها عند تجديدها زالت جميعاً ، حيث لم يكن في الامكان ان تُعاد نظراً لما دهاها من التلف والاضمحلال .

٣ـ كنيسة مار هرمزد :

هذه هي اقدم كنائس الدير ، اذ يصعد تاريخها الى زمن الربان هرمزد اي انها شُيدت منذ ١٣٠٠ سنة . ولهذا تبدو عليها امارات الشيخوخة وجلال القدم . فهي على بساطتها تحفة تاريخية قاومت فعل السنين المديدة وتغلبت على بعض ظروفها القاسية .

وليس في هذه الكنيسة من الكتابات ما هو جدير بالذكر ، انما هناك شيء جميل

---

١) وهذا نصها :

ܡܘܬ ܒܩܠܝܬܟ ܘܠܐ ܬܩܘܐ ܒܐܘܪܚܐ .

ملاحظة : تُعطى هذه النصيحة لمن يدخل في الحياة الرهبانية . في دخولك هنا مُتْ عن العالم وعن نفسك ولا تقف في الطريق . فالموت هو نصيبك الأكيد . هذا هو الشرح الذي يمكن ان يُعطى لهذه القطعة . وقد ذكر فوستي في رسالته عن كتابات الدير تعليقاً على اللوحة رقم ١١ التي فيها اسم مريم الاربلية ، ان مار ايليا المذكور في تلك القطعة انما هو مار ايليا الخامس وقد مات سنة ١٥٥٩ م . ثم كتب في تعليقه على القطعة رقم ١٢ وهي التي نحن بصددها انما كُتبت تنكيلاً بالبطريرك يوحنا هرمزد ، مع ان يوحنا هرمزد قد مات سنة ١٨٣٨ م . وقد اورد فوستي ذلك بناء على رواية احد الرهبان له . والتناقض في هذين الايرادين ظاهر كما لا يخفى ، مع العلم بان البناية التي تضم هذين النصين هي واحدة !..

ومهم يمثل لنا الروح الفنية التي كانت سائدة في ذلك العصر . ففيه اربع عشرة مشكاة (١) وفي صدر كل منها قد رُسم صليب ، وهذه الصلبان ذات اشكال زخرفية (٢) ولا نجد منها اثنين يتشابهان . وكل صليب منحوت في صدر المشكاة بصورة بارزة . ولكن احدها لم يُنحت نحتاً انما طُعم صدر المشكاة بقطع من القاشان الملون (٣) .

ومن الممكن ان تكون هذه البناية هي الكنيسة الاصلية للاخوة الرهبان حسبما يظهر لنا . وهي تكاد تكون منعدمة النوافذ ، ولذا فانها مظلمة حتى في رابعة النهار .

٤ـ كنيسة مار اظونيوس :

وهي تتصل بكنيسة الربان هرمزد ، وفي الممر الذي بينهما يوجد قبر منحوت ومنقوش نقشاً بديعاً . والمكان مدهشة نظراً لما فيها بين الصخور من المخابئ السرية التي قد أُهملت ونُسيت لتطاول عهدها .

وهذه الكنيسة مثل سابقتها في القدم ولكنها اصغر منها بكثير ، لابل هي اصغر جميع كنائس الدير .

٥،٦ـ كنيسة سيدة الوردية وكنيسة سيدة الكرمل :

اذا خرج الزائر من الباب القديم للدير (الذي ذكرناه في صفحة ١٦) يجد عن يساره ابنية متداعية وجدراناً قديمة . وقد كانت هذه الخرائب فيما مضى من الزمن كنيستين : الواحدة باسم سيدة الوردية والثانية باسم سيدة الكرمل . وهما واقعتان في شرق الكنائس الاربع السابقة . وليس لدينا ما يساعدنا على معرفة ما كانتا تشتملان عليه سابقاً من النقوش والكتابات . ولعل إدارة الدير العاملة ستتمكن من اعادة بنائها كما اعادت من قبل بناء الكنيستين الاولى والثانية .

---

١) المشكاة كوة غير نافذة .

٢) لقد تمكنتُ اثناء زياراتي للدير من تصوير هذه الصلبان تصويراً يدوياً . وهي محفوظة لدي في مجموعة خاصة تتألف من اربع عشرة لوحة .

٣) *Procelaine*

الدهليز الى صومعة الربان هرمزد :

يمكن للزائر ان يصطحب معه احد الرهبان كدليل ، فيطوف هذا به غرفاً وممرات صخرية تبتدئ من السكرستيا (١) حيث هناك دهليز توجد فيه قبور . وهناك يقع نظره على بعض السلاسل والاطواق الحديدية ، وهذه – كما يروي الرهبان – كان يستعملها الربان هرمزد اثناء ما يصلي . وطريقته في ذلك ان يعلق السلسلة بالسقف بواسطة حديدة معقفة ثم يوثق نفسه بالسلسلة ، فلا يتسنى له ان يضطجع او يريح نفسه عندما يشتهي ان يفعل ذلك اذا ما ناله التعب او انهكه السهر . اما هذه السلاسل – فكما يؤكد الرهبان – ذات افعال عجيبة سابقاً والآن : إذ يؤتى بالمرضى والعواقر والمجانين والمتوهين ومن ينتابهم الصَرع الى هذه المكان ، وذلك على اختلاف دينهم وملتهم ، فتوضع الاطواق الحديدية في رقابهم ويتركونهم مكبلين بها في تلك الكنيسة المظلمة لمدة اربع وعشرين ساعة ، واذا زادت المدة فلا تتعدى الثلاثة ايام . فان شُفي مما به فبها وإلا فلا املاً يُرجى من بقائه هناك .

ويمكن الوصول الى صومعة الربان هرمزد باختراق ممر تحت الارض . وفي هذا الممر لا تزال قبور مطمورة تحت الارض كالديماس (٢) وما السبب في استبقاء هذه القبور

١) السكرستية كلمة لاتينية (*Sacristia*) معناها غرفة الأشياء المقدسة وملابس الكهنة .

٢) لاشك ان السبب في استعمال هذا الطراز من القبور (*Catacombs*) او المباني انما هو الخوف الذي كان سائداً وقتئذ . وكانت الكنائس والمعابد المسيحية في روما ايام الاضطهادات كلها من هذا النوع . انظر :

(***J.S.Northcote : Epitaphs of the Catacombs; London, 1878***)

ومن الغريب ان بعض القرى الجبلية في العراق لا تزال من هذا النوع اي ان بيوتها باجمعها مطمورة تحت الأرض مع العلم بانها مأهولة للآن . ومن هذه قرية «سيداني» التي فوق سطح جبل الفوش .

ولقد ذكر فرازر (***J. Baillie Fraser***) في كتابه :

Travels in Koordistan and Mesopotamia (Vol.I, 1840, P. 138-139) انه قد صادف قريباً من مدينة اورمية في بلاد الفرس عدداً من هذا النوع من القرى المطمورة القديمة .

والاحتفاظ بها إلا لانها مثوى لعظام القديسين الذين عاشوا في الدير سابقاً .

اما هذا الممر فمن الغرابة بمكان ، إذ انه يمتد مسافة مائة متر في جوف الجبل ، فهو كالنفق ، لكنه ضيق . وقد يحتاج الذي يخترقه الى ان ينحني كثيراً بحيث يشكل جسمه في بعض الاحيان زاوية قائمة !! ...

ومما تجب ملاحظته ان الداخل الى الصومعة والدهليز يحتاج الى ان يحمل بيده مشعالاً ليبدّد تلك الظلمات الكثيفة التي هناك .

اما الصومعة ذاتها فمنقورة منذ عهد الربان هرمزد . وهي غرفة صغيرة تبلغ ارضيتها المترين طولاً بعرض وارتفاعها الثلاثة امتار ، وليس فيها من البقايا التاريخية ما يستحق الذكر .

صوامع الرهبان :

يرى المتسلق الى هذا الدير نقطاً سوداء منتثرة هنا وهناك في صخور الجبل وثناياه ، وما هذه النقط بالحقيقة إلا قلالي (صوامع) الرهبان القدماء الذين لم يألوا جهداً في نقرها وتجويفها وتكييفها حسب مقتضيات معيشتهم ومستلزماتها . ويتراءى لعين المصعّد — وهو لا يزال في قرار الوادي — ان واجهة الجبل هي اشبه ما تكون بخلية النحل لكثرة وجود هذه الصوامع فيها .

وهناك مراقي (درج) بسيطة قُدّت في الصخر ، وطرقات خطرة وشرفات ضيقة ومسالك ملتوية تكوّن اتصالاً بين الناسك ورفيقه . وتجد النساك منعكفين على إماتة الجسد بالصلاة والصوم وسائر ضروب العبادة ...

وانك لتجد كثيراً من الشرفات والممرات قد تهدّمت وانهالت بفعل تيارات المياه الجارفة من اعالي الجبل اثناء فصلي الشتاء والربيع ، كما وان الكثير من الصوامع قد تحطمت وتفتتت وانهارت من علٍ الى قلب الوادي ، لا تلوي اثناء سقوطها على شيء ، حتى استقرت في مكان امينة ، لا تخشى معها على نفسها سقطة ثانية ! ...

ولا تخفى اسباب ذلك : فان الحر والبرد والامطار والثلوج والصقيع والرياح والحركات الارضية والانسان والنبات والحيوان .. كل هذه عوامل فعالة قد تساندت وتكاتفت وتعاضدت على مكافحة هذا الصخر العاتي ، والعمل على اضمحلاله ومحقه .

هذا مع العلم بان الصخر الذي نُحتت فيه هذه القلالي ، وحيث يقـوم الدير ما بين اجزائه ، ليس بذلك الصخر القوي المتماسك ، انما هو رخو اذا ما قيس بالصخور الاخرى التي في هذا الجبل . وقد علمتُ ذلك بناء على ما لاحظه أولي الخبرة ممن يشتغل في نقر الصخر ونحته هناك .

وقد ذكرنا سابقاً ان الجانب الشرقي من الدير قد تُرك واكتفى الرهبان بالغربي،وذلك لان الزلازل التي حدثت قد سببت تدحرج كتل هائلة من الصخور على القلالي فهدمت منها ما هدمت وسدّت ابواب الاخرى وأبادت معالمها . ولا يزال ركام هذه القلالي ملقياً في الوادي المؤدية الى كرم الدير .

ولو دققنا وضعية الصوامع لوجدناها تتألف من ست طبقات على اكثر حد ، وجميعها منحوتة . ففي الطبقة العليا كان يسكن « الحبساء » وقد أعدّ كل منهم امام صومعته بستاناً صغيرة كان يصرف في سبيل تعهدها ساعات راحته .

وحول الدير قلالي كثيرة تتفاوت قرباً وبعداً . وليس من طريق للدخول اليهـا او الى باقي اجزاء الدير إلا التي اختطتها ايدي الرهبان . ان هذه القلالي قد حُفرت كلها في الصخر بهمة الرهبان القدماء العاملين الذين قضوا حياتهم في النسك والتزهـد المقرونين بالعمل .

ويبلغ عدد هذه القلالي نحو (٤٠٠) ، وكانت جميعها فيما مضى قوية صالحة لسكنى الرهبان ، ولكن العصور المتتالية قد اكلت عليها وشربت ، وتصرّفت بهـا الطبيعة حسب اهوائها والحقت بها من الخسف والنقصان ما الحقت وغادرتها كما تراها اليوم ولم يبق منها ما هو صالح لاقامة الرهبان إلا نحو (٤٠-٤٥) صومعة ! . .

وإننا نجد على البعض منها كتابات . ففي داخل احداها — وهي قلاية الاب اليشاع كُتب ما ترجمته :

« في سنة ١٨٣٥ للمسيح ؛ انا المسكين اليشاع سكنتُ هـذه القلاية خلال رئاسة ابينا الموقر حنا جرا الألقوشي الأصل » (١)

وهذا نصها :

[illegible]
[illegible]

وعلى الأُخرى كتب : « قد سكنتُ هذه القلاية انا الأخ منصور الراهب في سنة ١٨٣٠ » (١)

وعلى الأُخرى كتب : « في سنة ١٩٩٠ يونانية (١٦٨٤ م) انا عبديشوع الخاطيْ قد سكنتُ هذه القلاية » (٢)

وعلى الأُخرى كتب : « صلّوا لأجل الخاطيْ يونان » (٣)

وكُتب على الأُخرى التي يدعونها هناك « غرفة السجن » ما ترجمته :

« في سنة ١٨٤٢ ، اسماعيل باشا (حاكم) العادية ، حبس الرهبان وعذّبهم في هذه الصومعة ونهب الدير . ووسعناها (الفعل هنا يعود الى الرهبان) سنة ١٩٣١ » (٤)

ولعل اعجب ما في الدير من الاماكن المنقورة هو غرفة الطعام : فهذه غرفة يبلغ طولها نحو ٤٠ قدماً وعرضها ٢٠ وارتفاعها ١٥ ، وكلها محفورة في صدر الجبل ، والاغرب من هذا ان الاعمدة التي ترتكز عليها الغرفة انما هي من الجبل نفسه ، وهي تستوعب (١٠٠) راهب اذا ما جلسوا للطعام . . .

ولقد استرعت هذه الغرفة وسائر صوامع الدير انتباه الأب مارتان ، فخصها بوصف جميل في كتابه الذي وضعه عن هذه الديار (٥) فقد قال عنه : « ان بنيان هذا الدير المدهش وموقعه البديع يجعلان هذا الاثر القديم لا مثيل له في الغرب ولا شبيه له في الشرق إلا دير مار سابا في القدس » (٦)

---

١) وهذا نصها :
ܫܪܝܬ ܒܗܕܐ ܩܠܝܬܐ ܐܢܐ ܐܚܐ ܡܢܨܘܪ ܕܝܪܝܐ ܒܫܢܬ ܐܬܬܠ.

٢] وهذا نصها :
ܒܫܢܬ ܐܨܨ ܝܘܢܝܐ ܫܪܝܬ ܐܢܐ ܚܛܝܐ ܥܒܕܝܫܘܥ ܒܩܠܝܬܐ ܗܕܐ .

٣) وهذا نصها :
ܨܠܘ ܥܠ ܚܛܝܐ ܝܘܢܢ .

٤) وهذا نصها :
ܒܫܢܬ ܐܬܬܡܒ ܐܣܡܥܝܠ ܦܫܐ ܕܥܡܪܕܝܐ ܚܒܫ ܠܪܝܫܢܐ ܘܫܢܩ ܐܢܘܢ ܒܗܕܐ ܩܠܝܬܐ ܘܒܙ ܠܥܘܡܪܐ . ܘܐܪܘܝܚܢܐ ܒܫܢܬ ܐܨܠܐ .

٥) *M. L'Abbé Martin : La Chaldée esquisse historique* (*Roma*, 1867, *P.* 83-84).

٦) وصفت المس بل في رسائلها (انظر : *The Letters of Gertrude Bell* 1930, *P.* 59) دير القديس سابا فقالت « هناك كثير من المغاور وفي كل منها

فالقسم المنقور من الدير هو الذي يستدعي الانظار والانتباه اليه . كم وكم من السنين قد صُرفت على حفر تلك القلالي التي تُعد بالمئات ؟ كم وكم من الرهبان الابطال الذين بذلوا المجهودات العظيمة في الكفاح العنيف مع الصخور الصماء ؟..

جرس الدير

وهناك قبة الناقوس ! انها مع بساطتها من ادهش المواقع في الدير !! ... حقاً ان الانسان ليحار حين وقوفه في تلك البقعة : ينظر امامه فترتعد منه الفرائص ويهلع القلب من تلك الهوة . ولو تطلع الى الوراء لارتدّ بصره ، اذ يجد جداراً صخرياً يرتفع فوقه مئات الامتار ويكاد يناطح السحاب بقمته حتى ان الطيور نفسها لتتعثر بسنام الصخور وقننها ... فيعجب من عظمة تلك المكان ، لابل يقف وكأني به يسمع همساً في اذنه يؤنبه ويذكره بألاّ يكون مكابراً او فخوراً .

اما تأثير صوت الجرس او الناقوس في اسماع المارين بالوادي فما يخلب الالباب .

سائر ابنية الدير

لم يكن قبل خمسين سنة في هذا الدير من الابنية – عدا الكنيسة – ما يستحق الذكر . انما ابتنى الرهبان على عهد الرئيس الانبا شموئيل جميل (١٨٤٧–١٩١٧) خمس غرف وايوان .

اما هذه الغرف فإحداها للديوان (كما ذكرنا) وقد كُتب على بابها ما ترجمته :

« بُنيت في سنة ١٩٠٢ للمسيح » (١)

والثانية للرئيس وكُتب على بابها ما ترجمته :

« في سنة ١٨٦٧ للمسيح بُنيت هذه القلاية التي تسمى بقلاية ابينا نسبة الى الأنبا

احد هؤلاء النساك الذي نظّم له مصاداً يؤدي به الى صومعته . ان دير القديس سابا نفسه يشتمل على النواويس وبعض البنيان ، وفيه اسوار طويلة وابراج متسلقة على الصخر الشديد الانحدار . اما قبة كنيسته فقد برزت من بين ذلك . كما ان الدهاليز غير المنتظمة والصوامع العديدة كلها معلقة فوق وهدة عميقة ، والصخر نفسه مزدحم بنوافذ صغيرة مربعة الشكل ، تلك هي الصوامع التي قد تعود في القِدمية الى عهد القديس سابا الذي عاش في الجيل السادس » .

١) وهذا نصها :

ܐܬܒܢܝܬ ܒܫܢܬ ܐܨܒ ܠܡܫܝܚܐ .

البشاع رئيس الدير » (١)

وفي عام ١٩٣١ كتب رئيس الدير الخصوصي وقتئذ (الابا توما الكرمليسي) كتابة حمراء على الجدران الداخلية للغرفة بالخط الاسطرنجيلي البديع، وهذه ترجمتها :

« الآباء الذين عمّروا وسكنوا في هذا المحل وكمّلوا سني حياتهم بالفضائل . اطلبوا وتضرّعوا عن الرهبان الذين في الأديرة لكي يصلوا ويبلغوا درجة الكمال عوض الذين يزورون ذخيرتكم بالايمان ويمنحوا لكم مواهب ونذورًا مع الصدقات يفيض عليهم ربنا براحمه كل البركات ويجعل لهم بمكم النصيب في الملكوت . سنة ١٨٦٧ » (٢)

والغرفة الثالثة مقابلة لغرفة الرئيس وفوق بابها :

« يمجّد سكان الكهوف وفي رأس الجبال يصيحون ويسبّحون الرب . من اشعيا الاصحاح ٤٢ » (٣)

والغرفة الرابعة التي في صدر الايوان التحتاني الصغير هي غرفة الاب جبرائيل دنبو . وقد كُتب على بابها ما ترجمته :

« جُدد هذا الباب وأُقيم هذا الايوان الجديد لشرف قلاية الآباء . جبرائيل وحنا وعمانوئيل رؤساء الرهبنة العموميين الرحوميين في سنة ١٨٨٣ بشهر آذار » (٤)

والخامسة هي بجانب السابقة . وقد كُتب على بابها :

١] وهذا نصها :

[illegible]

٢] وهذا نصها :

[illegible]

٣] وهذا نصها :

ܢܫܒܚܘܢ ܥܡܘܪ̈ܐ ܕܟܐܦܐ ܘܡܢ ܪܫܐ ܕܛܘܪ̈ܐ ܢܩܥܘܢ ܘܢܫܒܚܘܢ
ܠܡܪܝܐ . ܐܫܥܝܐ ܡܒ . ܝܐ .

ان هذه الكتابة مقتبسة من تسبحة اشعيا النبي ومزامير داود ، طبعة بيجان ص ٣٣٣-٣٣٤

٤) وهذا نصها :

[illegible]

« بُنيت بسنة ١٩٠٢ للمخلص » (١) . وهاتان الغرفتان هما لسكنى الرهبان في الوقت الحاضر .

اما الايوان فذو موقع جميل . وقد نُقر معظمه في الصخر ، والباقي اكمله البناؤون وقد نقش في صدره صورة نسر ، وكتب تحته بالكلدانية على الصخر ما ترجمته :

« نُقر ووُسم هذا الايوان خمسة اذرع باربعين يوماً بأيادي الاخوة هرمزد واسحق وارميا وباواالاها وبرجيتا وسروكي برئاسة الأبا يوسف نجار الرئيس العام على الأديرة الكلدانية وهمة الأبا توما الكرمليسي الرئيس الخصوصي لدير الربان هرمزد الفارسي سنة ١٩٣١ » (٢)

وعدا هذه الكتابة المحصورة ضمن إطار مستطيل من الحبر الاسود ، نجد ثلاثة اسطر اخرى على عرض الايوان وهذه ترجمتها :

« في الجيل الرابع للمسيح .

« نبوة مار ميخا النوهدري (٣) النوهدري (٤ على الربان هرمزد الفارسي في الجيل السابع للميلاد . عتيد هو الله . ليرسل لكم ايها الألقوشيون نسراً عظيماً لكي يصعد بجناحيه فوق الملائكة . ويعشّش في هذا الجبل بجانبكم ، ويولد افراخاً روحية . وكل من يدعو باسمه يطرد منه الرب كل وجع ويكون له سلطة على كل مرارة وسم الديب القتال ويُسمّى هذا الجبل اورشليم العُليا . اخرجوا للقائه بكل فرح » (٥)

---

١) وهذا نصها :

ܒܫܢܬ ܐܛܒ ܦܪܘܩܐ ܐܬܒܢܝܬ .

٢) وهذا نصها :

ܐܬܚܨܒ ܘܐܬܬܪܫܡ ܗܢܐ ܐܦܕܢܐ ܚܡܫ ܐܡܝܢ ܒܐܪܒܥܝܢ ܝܘܡܝܢ ܒܐܝܕܝ
ܐܚ̈ܐ ܗܘܪܡܝܙܕ ܘܐܝܣܚܩ ܘܐܪܡܝܐ ܘܒܒܐ ܐܠܗܐ ܘܒܪܝܬܐ ܘܣܪܘܟܝ ܡܦܪܫ ܠ
ܒܪܝܫܘܬ ܐܒܐ ܝܘܣܦ ܢܓܪܐ ܪܝܫܐ ܓܘܢܝܐ ܥܠ ܕܝܪ̈ܬܐ ܟܠܕܝܬܐ ܘܒܝܕ ܐܒܐ ܬܘܡܐ
ܟܪܡܠܝܣܝܐ ܪܝܫܐ ܕܝܠܢܝܐ ܕܕܝܪܐ ܕܪܒܢ ܗܘܪܡܝܙܕ ܦܪܣܝܐ ܒܫܢܬ
ܐܠܦܐ ܘܬܫܥܡܐ ܘܬܠܬܝܢ ܘܚܕܐ ܕܡܪܢ
ܫܘܒܚܐ ܠܗ ܠܥܠܡ .

٣) راجع عن حياة « مار ميخا النوهدري » في كتاب شهداء المشرق لأدي شير (٢ : ١٨٦-١٩٢) . وفي مكتبة دير السيدة نسخة خطية لسيرته (انظر قائمة فوستي ، رقم CCXIV-3) .

٤) ان نوهدرا ܢܘܗܕܪܐ كان اسم دهوك . وكانت البلاد التي في اطراف نوهدرا تُدعى بانوهدرا ܒܝܬ ܢܘܗܕܪܐ واشهر مدنه وقراه معلثاي وتلخش والغوش وباعذري

٥) وهذا نصها :

ܦܪܫܐ . ܕ . ܠܥܠܡ . ܢܒܝܘܬ ܡܪܝ ܡܝܟܐ ܢܘܗܕܪܝܐ ܥܠ ܪܒܢ ܗܘܪܡܝܙܕ ܦܪܣܝܐ . ܦܪܫܐ . ܙ . ܠܥܠܡ . ܥܬܝܕ ܐܠܗܐ ܢܫܕܪ ܠܟܘܢ ܐܠܩܘܫܢܝܐ

هذه هي الابنية التي بجوار الدير نفسه . اما التي عند الكنيسة فأربع غرف جديدة وتحتها رواق جميل فسيح يُطل على ساحة الكنيسة . وتحت هذه الساحة قبو كبير، يُستعمل للجلوس فيه اثناء فصل الصيف .

مياه الدير :

يعتمد الدير في الحصول على مياه الشرب وسائر الاحتياجات على ما يتجمع من مياه الامطار في الصهاريج التي رُكب على فوهة كل منها خرزة رخام اوحجر منحوت . وتبلغ هذه الصهاريج الاربعين عداً ، ولكنها لا تستعمل كلها الآن لعدم الحاجة اليها ، نظراً لقلة الرهبان هناك . ونتج عن ذلك ان بعضها لما تزل معمرة بالمياه والبعض الآخر اصبحت خربة معطلة .

وقد نُقرت هذه الصهاريج في اجواف الصخور ، ويبلغ متوسط عمقها نحو (١٠) امتار ، لكن اعظمها يبلغ من العمق خمسة عشر متراً . وسنكتفي بوصفه نظراً لانه الصهريج الوحيد الذي عليه اعتماد الدير في الحصول على الماء :

هذا الصهريج منقور في غربي الكنيسة ومجاور لكنيسة الربان هرمزد . وهو كالمخروط الناقص اذ ان فوهته كفوهة البئر الاعتيادية ، لكنه يأخذ في الاتساع شيئاً فشيئاً حتى يصل القعر وعندئذ يصل قطر قاعدته الى الاربعة عشر متراً .

ويتسرب الماء اليه والى سائر الصهاريج من سواقي محفورة في الجبل بين الصخور والتلاع خصيصي لهذا الغرض ، وهي تملأ من مياه الامطار الهاطلة في فصل الشتاء (١) .

ومن يتأمل هذه الصهاريج يجدها عملاً يستحق الاعجاب والتقدير ويشهد للذين قاموا به بالجلد وطول الأناة .

[illegible]

١] قد استقيت المعلومات عن هذا الصهريج من تقرير كتبه الأنبا انطونيوس الرئيس الخصوصي لدير الربان هرمزد سابقاً عن صهريج الدير (١٩٢٨) . ولديَّ نسخة خطية منه باللغة الكلدانية .

عين القديس (ܥܝܢܐ ܕܩܕܝܫܐ) :

وهناك في اسفل الدير وعلى مقربة منه عين صغيرة تُدعى « عين القديس » . وحسبما يروي الرهبان ، ان القديس هرمزد كان يَشرب منها قبل ان أُتيح له ولرهبانه ان يحفروا شيئاً من الصهاريج . ومياه هذا الينبوع تُصرف في الوقت الحاضر لسقي بعض اشجار التين المجاورة .

مغارة البارود (ܓܘܒܐ ܕܒܪܘܕ) :

وبالقرب من الدير مغارة منخفضة فيها ينبـوع ماء ، وهنـاك بعض المـاء يقطر من سقف المغارة (١) . ولهذا الماء مفعول صحي لكونه يشفي بعض الامراض الجلدية لاحتوائه على معادن منحلة فيه . وقد سُمي بهذا الاسم نظراً لاستخراج ملح البارود من هذه المغارة . وطريقة استخراجه معروفة لدى الكثير من القرويين .

مقبرة البطاركة (ܒܝܬ ܩܒܘܪܐ ܕܦܛܪܝܪܟܐ) :

تقع هذه المقبرة في المجاز المؤدي الى صومعة الربان هرمزد ، وتتألف من تسعة قبور على كل منها لوحة رخامية كبيرة كُتب عليها بالكلدانية نبذة من حياة كل بطريرك او صورة ايمانه .

لقد قام في القوش عائلة تُدعى « بيت الاب » واشتهرت شهرة واسعة نظراً لانها تسلمت زمام الحكم الديني على كافة الطائفة الكلدانية في العالم مدة تزيد عن الخمسة اجيال (٢) وكانت القوش مقر بطاركتهم خلال قسم من هـذه الحقبة . اما البطريرك

---

١) لقد وجدتُ مثل هذه المغارة ولكن بصورة اعظم في المغارة التي بدير الشيخ متى المدعوة هناك « الناقوط » حيث ان السقف يقطر ماء مذباً على مدى السنة . وفي جـوف تلك المغارة يوجد استالكتيت *Stalactite* وهو راسب كلسي مدلّى من سقف المغـارة بشكل الجليد .

٢) يقول الأب نصري في ذخيرة الأذهان : ان اول من جلس على كرسي البطريركية البابلية من البيت الأبوي هو طيماثاوس الثاني خليفة يابالاها الثالث سنة ١٣١٨ ° ثم ان اخير بطاركتهم كان يوحنا هرمزد الذي توفي سنة ١٨٣٨ . (انظر جدولاً بأسماء هؤلاء البطاركة جميعاً مع سني توليتهم في كتاب الأب يوسف تفنكجي بالفرنسية :

فكان لدى وفاته يُدفن في هذه المقبرة التي نحن بصددها . وعلى بعض اللوحات التي على هذه القبور خط في منتهى الجمال . وسنذكر فيما يلي النصوص الكلدانية لهذه الالواح مع ترجمتها .

فعلى احداها نجد ما ترجمته (١) :

« بسم الحي الذي لا يموت والغني الذي لا يفتقر . بسم الآب والابن والروح القدس .

« منذ وُلدت انا مار شمعون البطريرك الجاثليق في الشرق عرفتُ الله النور الأزلي ؛ واعترفت وآمنت بابنه يسوع المسيح الاله الكامل والانسان الكامل بطبيعتين و« اقنومين» (٢) ، شخصاً واحداً ، واحببتُ روحه وسجدتُ لبيرقه (اي صليبه) واشتركتُ بجسده ودمه ، ومتُّ على رجاء قيامته . الى هنا وصل ورَسا الزورق عندميناء الراحة ، ووضعوني هنا على رجائك ايها المسيح الملك ، وفي يوم لاهوتك سأبصر النور من وجهك الوقّر والمجّد .

L'Eglise Chaldéenne Catholique Autrefois et Aujourd'hui (1913, *P.* 25).

١) ذكر السمعاني (انظر :

«*Bibliotheca Orientalis*, *III*, 2, *P. CMXLVIII—CML*

شيئاً عن هذه القبور ، وأورد نصاً لخمسة الواح بالنص الكلداني مع شروح لاتينية . ثم جاء بعده العلامة الألماني ساكو (*Von Eduard Sachau*) وأورد شيئاً من محتويات هذه الألواح مع ايضاحات بالألمانية في بحثه :

Syrische Inschriften aus Rabban Hormizd الذي نشره في :

« *Sitzungsberichte der Koniglich Preussischen Akademie der Wissenschaften zu Berlin.* (1896, *XLI, P.*1058-1064)

ثم تلاه الأب المستشرق فوستي في رسالته المذكورة عن كتاب الدير (راجع الألواح رقم ٢٥-٣٣ من تلك الرسالة) .

ومن الغريب ان هناك تبايناً بارزاً بين بعض النصوص التي اوردها فوستي ، وذلك بالنظر الى الكتابات الموجودة على جدران الدير . على ان ساكو لم يورد في بحثه المذكور سوى اثني عشر نصاً ، اما فوستي فقد ذكر ٣٣ نصاً . غير ان هناك ثلاثة عشر نصاً على الجدران والأبواب لم يذكرها فوستي ، وبالطبع ان قسماً من هذه النصوص حديثة العهد كُتبت بعد مبارحة فوستي للدير . كما ان بعض التي ذكرها لم يعد لها اثر اليوم بالنظر لما طرأ من تغيير اثناء هدم الكنيسة وتعميرها .

٢) ليلاحظ القارئ في هذه النصوص النزعة النسطورية في الاعتقاد بالاقنومين والارادة الواحدة .

غادرتُ هذه الحياة في العشرين من شهر شباط سنة ١٧٠٨ يونانية (١٤٩٧ م) المجد لله ، لتكن رحمته ورأفته علينا الى جيل الأجيال آمين .

اذكر عبدك الشاب مار حنانيشوع حينما تأتي في ملكوتك وأهّله ان يتنعم مع الابرار والقديسين الذين ارضوا ارادتك آمين » (١)

وعلى القطعة الاخرى وهي الواقعة في صدر المقبرة نجد ما ترجمته :

« الحي الذي لا يموت .

« بسم الآب والابن والروح القدس .

« منذ وُلدت انا مار شمعون البطريرك الجاثليق في الشرق ، عرفت الله النور الأول

(الخ .. كما في القطعة الاولى وهوذا ترجمة الستة اسطر الاخيرة التي تذكر تاريخ موته) :

« قد غادرتُ هذه الحياة في ٥ من شهر آب سنة ١٨٤٩ يونانية (١٥٣٨ م) المجد لله وعلينا رحمته ورأفته الى الأبد آمين .

« كتبه القس اسرائيل الفقير والخاطئ » (٢)

وعلى القطعة الاخرى نجد ما ترجمته :

---

١) وهذا نصها الكلداني :

ܚܝܐ ܕܠܐ ܡܐܬ ܒܫܡ ܐܒܐ ܘܒܪܐ ܘܪܘܚܐ ܕܩܘܕܫܐ . ܡܢ ܕܐܬܝܠܕܬ ܐܢܐ
ܡܪܝ ܫܡܥܘܢ ܦܛܪܝܪܟܐ ܩܬܘܠܝܩܐ ܕܡܕܢܚܐ ܝܕܥܬ ܠܐܠܗܐ ܢܘܗܪܐ ܩܕܡܝܐ
ܘܒܪܗ ܢܘܗܪܐ ܕܡܢ ܢܘܗܪܐ ܘܪܘܚܗ ܩܕܝܫܐ ܢܘܗܪܐ ܕܡܬܝܕܥ ܡܢ ܬܪܝܗܘܢ
ܘܗܝܡܢܬ ܘܣܓܕܬ ܠܬܠܝܬܝܘܬܐ ܩܕܝܫܬܐ ܐܝܟ ܐܠܦܢܐ ܕܫܠܝܚܐ ܩܕܝܫܐ ܘܐܒܗܬܐ
ܩܕܝܫܐ ܘܥܡ ܡܪܢ ܝܫܘܥ ܡܫܝܚܐ ܗܘ ܕܐܬܬܣܝܡ ܠܝ ܠܚܘܒܐ ܘܠܡܘܗܒܬܐ
ܘܠܫܘܦܪܐ ܘܐܫܬܘܕܥܬ ܠܗ ܒܟܠܗ ܠܒܝ ܘܫܡܫܬܗ ܠܗ .
ܒܩܢܘܢܐ ܕܩܕܝܫܐ ܘܒܥܢܘܝܘܬܐ ܘܒܛܝܒܘܬܐ ܕܡܪܢ ܐܬܚܦܛܬ ܠܥܠ ܡܢ ܚܝܠܝ
ܒܟܠ ܕܢܬܒܣܡ ܕܐܬܦܩܕܬ ܥܠ ܡܕܒܪܢܘܬܗ ܕܥܕܬܐ ܩܕܝܫܬܐ
ܘܒܣܘܥܪܢܐ ܕܡܘܗܒܬܐ ܪܘܚܢܝܬܐ .
ܫܢܝܬ ܡܢ ܗܠܝܢ ܚܝܐ . ܒܥܣܪܝܢ ܒܝܪܚܐ ܫܒܛ ܫܢܬ ܐܠܦ ܘܫܒܥܡܐܐ
ܘܬܡܢܝܐ ܕܝܘܢܝܐ . ܫܘܒܚܐ ܠܐܠܗܐ ܘܥܠܝܢ ܪܚܡܘܗܝ ܠܥܠܡ ܥܠܡܝܢ ܐܡܝܢ .
ܐܬܕܟܪ ܠܥܒܕܟ ܥܠܝܡܐ ܡܪܝ ܚܢܢܝܫܘܥ ܡܐ ܕܐܬܝܬ ܒܡܠܟܘܬܟ
ܘܐܫܘܝܗܝ ܕܢܬܒܣܡ ܥܡ ܟܐܢܐ ܘܩܕܝܫܐ ܕܫܦܪܘ ܠܨܒܝܢܟ ܐܡܝܢ .

٢) وهذا نصها الكلداني :

ܚܝܐ ܕܠܐ ܡܐܬ ܒܫܡ ܐܒܐ ܘܒܪܐ ܘܪܘܚܐ ܕܩܘܕܫܐ ܡܢ ܕܐܬܝܠܕܬ ܐܢܐ
ܡܪܝ ܫܡܥܘܢ ܦܛܪܝܪܟܐ ܩܬܘܠܝܩܐ ܕܡܕܢܚܐ ܝܕܥܬ ܠܐܠܗܐ ܢܘܗܪܐ ܩܕܡܝܐ
ܘܒܪܗ ܫܢܝܬ ܡܢ ܗܠܝܢ ܚܝܐ ܒܚܡܫܐ ܒܝܪܚܐ ܐܒ ܫܢܬ ܐܠܦ ܘܬܡܢܡܐܐ
ܘܐܪܒܥܝܢ ܘܬܫܥ ܕܝܘܢܝܐ ܫܘܒܚܐ ܠܐܠܗܐ ܘܥܠܝܢ ܪܚܡܘܗܝ ܠܥܠܡ ܐܡܝܢ . ܟܬܒܗ
ܩܫܝܫܐ ܐܝܣܪܐܝܠ ܡܚܝܠܐ ܘܚܛܝܐ .

« بسم الحي الذي لا يموت .

« بسم الآب والابن والروح القدس .

« منذ وُلدت انا مار شمعون الجاثليق عرفت الله (الخ .. كما في السابقة . وهاك ترجمة الاسطر التسعة الاخيرة التي تذكر اواخر البطريرك) :

« غادرتُ هذه الحياة في ١ تشرين الثاني مساء الأربعاء من سنة ١٨٧٠ يونانية (١٥٥٨ م) المجد لله وعلينا رحمته ورأفته الى الأبد آمين .

« في سنة ١٨٧٠ للاسكندر ، في ٤ تشرين الثاني ، سافر من هذا عالم الاكدار ابونا الوقر مار شمعون البطريرك ذي الاسم العذب . الرب يعطيه الفرح في الملكوت مع ابني زبداي » (١)

وعلى القطعة الاخرى تقرأ عن اليمين ما ترجمته :

« هذا الوقر (الاب) خدم الطرابوليطي مدة خمس عشرة سنة بقداسة .

وعن اليسار تقرأ : « ابونا أدار الكرسي البطريركي مدة ٣٢ سنة » .

وحوالي القطعة ابتداء من اليسار :

« سنة ١٩٠٢ للاسكندر ملك اليونان (١٥٩١ م) البطريرك مار ايليا خرج من هذا العالم في ٢٦ من شهر ايار شهر الورود في سابوع الرسل في الأربعاء الأولى .

« منذ ارتقيتُ بنعمة [الله] الى بطريركية الشرق ، انا مار ايليا اعترفت بالأقانيم الثلاثة : الاب والابن والروح القدس الاله الحقيق ، الطبيعة الأزليـة وآمنتُ بابنـه ربنا يسوع المسيح الاله الكامل والانسان الكامل بعين الوقت بطبيعتين واقنومين في شخص واحد ونبوة واحدة وارادة واحدة ، الذي تألم وصُلب وقُبر وقام في اليـوم الثالث كما هو مكتوب وصعد الى السماء عند ابيه . سجدتُ لصليبه الحي والُحيي واخذت جسده ودمه على رجاء غفران خطاياي . وعندما رسا زورق الجسد عند راحة القبر خرجت من هذا العالم بعلامة من العُلا منتظرٌ يوم القيامة العظيم الذى سيأتي فيه ربنا ويرحمـني برحمته بآمين (بتضرع) كل الكنيسة .

١] وهذا نص الكلداني :

ܒܫܢܬ ܐܠܦ ܘܬܡܢܐ ܡܐܐ ܘܫܒܥܝܢ ܠܐܠܟܣܢܕܪܘܣ ܡܢ ܦܢܝܬܐ
ܐܒܘܢ ܝܩܝܪܐ ܡܪܝ ܫܡܥܘܢ ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܒܣܝܡ ܫܡܐ. ܡܪܝܐ ܢܚܕܝܘܗܝ ܒܡܠܟܘܬܐ
ܥܡ ܒܢܝ ܙܒܕܝ. ܗܢܐ ܝܩܝܪܐ ܫܡܫ ܠܛܪܦܘܠܝܛܝܐ ܚܡܫܥܣܪܐ ܫܢܝܢ ܒܩܕܝܫܘܬܐ.
ܐܒܘܢ ܕܒܪ ܟܘܪܣܝܐ ܦܛܪܝܪܟܝܐ ܫܢܝܢ ܬܠܬܝܢ ܘܬܪܬܝܢ.
ܫܢܬ ܐܠܦ ܘܬܫܥܡܐܐ ܘܬܪܬܝܢ ܠܐܠܟܣܢܕܪܘܣ ܡܠܟܐ ܝܘܢܝܐ. ܦܛܪܝܪܟܐ ܡܪܝ ܐܠܝܐ ܢܦܩ ܡܢ ܗܢܐ ܥܠܡܐ
ܒܥܣܪܝܢ ܘܫܬܐ ܒܐܝܪ ܝܪܚܐ ܕܘܪܕܐ ܒܫܒܘܥܐ ܕܫܠܝܚܐ ܒܚܕ
ܒܫܒܐ ܩܕܡܝܐ .

« رجاءك ايها القارئ ، صلِّ واطلب الى الرب ، وتضرّع بقلب نقي ليعطيني مغفرة خطاياي » (١)

اما القطعة الاخرى فموضوعها يدور حول مار ايليا ايضاً . الاقرار هو عينه كما في القطع السابقة ، وهوذا ترجمة الاسطر الاخيرة التي تنقل موت البطريرك :

بين يدي الصليب الذي يعلو التاريخ نقرأ :

« بك نغلب اعداءنا وباسمك ندوس بأرجلنا على خصومنا .

« باسم الحي الذي لا يموت والغني الذي لا يفتقر . القوا بنظركم عليه .. وثقوا به »

اما ترجمة الاسطر الاخيرة فهي :

« غادرتُ هذا العالم بعلامة العلي يوم الاثنين الذي بعد الأحد [ذي الجد الابدي = الأحد الذي بعد الصعود] في ٢٦ ايار سنة ١٩٢٨ يونانية (١٦١٧ م) وانتظر يوم القيامة العظيم حينما يأتي ربنا فيرحمني برحمته .

١] وهذا نصها بالكلداني :

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

« صلِّ ايها السيد القارئ واطلب بقلب نقي وتضرَّع الى الرب لكي يمنحني غفران خطاياي،
« له المجد ، وعلينا رأفته ومراحمه الى الابد – صلوا على الكاتب الخاطئ » [١]

والقطعة الاخرى يدور موضوعها حول مار ايليا آخر ، والاقرار بالايمان هـو عينـه كالسابق . وها اننا ننقل الاحد عشر سطراً الاخيرة :

حول التاريخ ابتداء من اليمين تقرأ في أعلى الصليب :

« بسم الحي الذي لا يموت والغني الذي لا يفتقر - هذا الاب اشغل الكرسي البطريركي مدة ٤٣ سنة .

« غادرتُ هذا العالم بعلامة العلي في الاحد الثاني للرسل في ١٨ حزيران سنة ١٩٧١ يونانية (١٦٦٠ م) .

اما الاسطر التالية فتنص على عين الكتابة السابقة ما عدا بعض تغيرات طفيفة .

والنص التالي يُقرأ على الجوانب حول التاريخ :

« ابونا الاقدس مار ايليا الجاثليق ليكن امام الرب ذا ذكر صالح ومقبـول . والكاتب الحقير والمسكين ليكن ايضاً اهلاً للرحمة والغفران في اليوم الاخير » (٢)

---

١) وهذا نصها الكلداني :

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

٢) وهذا نصها الكلداني :

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

اما القطعة الاخرى ، فالمتوفي يُدعى مار ايليا ايضاً . وهوذا الاسطر الثانية الاخيرة: عن اليسار الإقرار بالايمان . وهذا النص يتواصل ايضاً الى اليمين . وفي الاسفل نجد اثني عشر سطراً هذه ترجمتها :

عن يمين الصليب :

« هذا الاب دام على الكرسي البطريركي مدة ٢٠ سنة » .

وعن اليسار :

« ليصنع الرب امامه ذكرًا صالحًا ومقبولًا لأبينا الطوباوي الذي توفي على الرجاء السماوي » .

« سافرتُ من هذا العالم بعلامة العلي يوم الجمعة قبل العنصرة في ١٧ ايار سنة ٢٠١١ يونانية [١٧٠٠ م] » .

اما البقية فما هي إلا تكرار امين الصورة السابقة بدون تغيير هام .

وعن اليسار على الطول بموجب النسخة السابقة :

« ابونا مار ايليا الراعي مستحق الثناء مات وتوفي على رجاء المسيح الملك (عن اليمين) في سنة ٢٠١١ لليونان الشعب المشهور (١٧٠٠ م) ١٧ ايار » .

واخيراً في الاسفل تحت القطعة نقرأ ما ترجمته :

« ان وفاة هذا الأب الاقدس وقعت اربع سنوات بعدما كان في سنة ٢٠٠٧ قد عمّر هيكل بيت الشهداء ܒܝܬ ܣܗܕܐ وبيت العماذ في دير الربان هرمزد » (١)

ܦܢܝܗ̇ ܠܥܠܡܝܢ ܐܡܝܢ .
ܗܘܬ ܕܥܢܝܕܘܬܗ ܕܐܒܐ ܩܕܝܫܐ ܡܬܚܫܒܢܐ ܒܫܢܬܐ . ܠܐܒܘܢ ܡܪܝ
ܐܠܝܐ ܦܛܪܝܪܟܐ ܗܘܐ . ܘܒܬܪ ܐܪܒܥ ܫܢܝܢ ܕܒܢܐ ܗܝܟܠܐ ܕܒܝܬ ܣܗܕܐ .
ܘܒܝܬ ܡܥܡܘܕܝܬܐ ܒܕܝܪܐ ܕܪܒܢ ܗܘܪܡܝܙܕ ܐܬܒܢܝ .

١) وهذا نصها الكلداني :

ܐܬܥܢܝܕ ܡܪܝ ܐܠܝܐ ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܥܠ ܟܘܪܣܝܐ ܕܡܕܢܚܐ. ܐܒܘܢ ܪܥܝܐ ܫܒܝܚܐ
ܫܢܬ ܒܬܪ ܐܪܒܥ ܫܢܝܢ ܕܒܢܐ ܗܝܟܠܐ ܕܒܝܬ ܣܗܕܐ ܘܒܝܬ ܡܥܡܘܕܝܬܐ ܒܕܝܪܐ ܩܕܝܫܐ
ܕܪܒܢ .
ܐܬܥܢܝܕ ܡܢ ܥܠܡܐ ܒܪܡܙܐ ܕܡܪܝܡܐ ܒܥܪܘܒܬܐ ܩܕܡ ܦܢܛܩܘܣܛܐ
ܒܫܒܥܣܪ ܒܐܝܪ . ܫܢܬ ܬܪܬܝܢ ܐܠܦܝܢ ܘܚܕܥܣܪ ܠܝܘܢܝܐ . ܗܢܘ ܦܛܪܝܪܟܐ
ܠܐܒܘܢ ܡܪܝ ܐܠܝܐ ܕܗܘܐ ܪܥܝܐ ܫܒܝܚܐ ܒܣܒܪܐ ܕܡܫܝܚܐ . ܘܐܬܩܒܪ ܒܕܝܪܐ
ܕܪܒܢ ܗܘܪܡܝܙܕ ܐܒܐ ܩܕܝܫܐ ܕܝܠܢ ܒܫܢܬܐ ܗܕܐ .

وعلى اللوحة الثامنة كُتب ما ترجمته :

« بسم الحي الذي لا يموت » .

وتحتها صليب وعن يمينه :

« ساس كرسي البطريركية العالي ابونا مستحق البركة ثلاث وعشرين سنة ، مبارك هو الرب » .

وعن يسار الصليب كُتب :

« ليعمل الرب تذكارًا مقبولًا امامه ومستحقاً لأبينا هذا الطوباوي الذي انتقل على الأمل السماوي » .

وفي الأسفل كُتب :

« انتقلتُ من هذا العالم باشارة العلي وانا منتظر يوم القيامة العظيم حتى يأتي الرب ويترحَّم عليَّ براحمه بآمين (بتضرُّع) كل الكنيسة المستقيمة . والى الأبد آمين . صلِّ ايها السيد القارئ وتضرَّع بقلب نقي واطلب واسأل من الرب ليصفح عن آثامي . اتعي وقد القوي للمجد والاحترام دائماً . وعلى الراحل يسبغ مراحمه ويؤهله لنيل الطوبى دائماً .

« ساس وخدم كما يجب ابونا هذا المرحوم المغفور له درجة للطرابوليطي العليا سبع سنوات . مات وانتقل على رجاء الملك السماوي ابونا الطاهر مار ايليا الراعي الطوباوي في سنة ٢٠٣٤ يونانية (١٧٢٣ م) في اليوم الرابع عشر من شهر كانون الأول . ينعمه المسيح في جنة الخلود (١) » .

ܐܝܟ ܐܘ ܡܪܝ ܡܪܘܢܐ . ܘܐܬܚܫܒ ܠܗܕܐ ܕܝܠܗ . ܘܒܝܬ ܫܘܠܛ ܡܫܡܪܐ .
ܕܢܬܒܝܐ ܠܫܢܝܐ ܣܘܓܐܐ . ܥܠܡ ܘܠܐܬܪܐ ܥܒܕܐ ܘܡܠܟܐ ܕܫܡܝܐ
ܘܫܢܝܗ ܠܥܠܡܝܢ .

ܚܒܝܒ ܕܝܢ ܘܡܪܝ ܥܠ ܐܘܠܨܢܗ ܕܡܠܟܐ ܡܫܝܚܐ . ܐܬܝܐ ܚܝܐ ܡܪܝ
ܐܠܗܐ ܡܪܢܐ ܡܫܒܚܐ . ܘܫܒܩܬ ܐܢܐ ܐܝܬܝ ܢܦܫܐ ܡܫܝܚܐ .
ܘܡܬܓܡܪܐ ܚܝܐ ܡܫܝܚܐ ܠܥܠܡ ܥܠܡܝܢ .

ܗܘܐ ܠܡܬܬܝܗ ܕܡܪܢ ܝܫܘܥ ܡܫܝܚܐ ܥܠܡܝܢ ܕܐܬܘܗܝ ܗܘܐ ܘܫܢܬ
ܐܢ ܕܝܠܗ ܗܘܐ ܘܡܠܟܐ ܕܝܠܗ ܕܝܢܬ ܡܫܝܚܐ ܘܡܢܬ ܠܡܠܟܐ ܕܫܡܝܐ ܘܗܘܝܘ .

١) وهذا نصها الكلداني :

ܒܫܡ ܚܝܐ ܕܠܐ ܡܐܬ .

ܪܕܐ ܟܘܪܣܝܐ ܕܦܛܪܝܪܟܘܬܐ . ܪܡܐ ܐܒܘܢ ܫܘܝܐ ܕܒܘܪܟܬܐ . ܬܠܬ ܘܥܣܪܝܢ
ܫܢܝܢ . ܒܪܝܟ ܗܘ ܡܪܝܐ .

ܢܥܒܕ ܡܪܝܐ ܕܘܟܪܢܐ ܡܩܒܠܐ ܩܕܡܘܗܝ ܘܫܘܝܐ ܠܐܒܘܢ ܗܢܐ ܛܘܒܢܐ
ܕܫܢܝ ܠܣܒܪܐ ܕܫܡܝܐ .

ܫܢܝܬ ܡܢ ܥܠܡܐ ܗܢܐ ܒܪܡܙܐ ܕܥܠܝܐ ܘܡܣܟܐ ܐܢܐ ܠܝܘܡܐ ܪܒܐ ܕܩܝܡܬܐ .
ܥܕܡܐ ܕܐܬܐ ܡܪܝܐ ܘܡܪܚܡ ܥܠܝ . ܒܐܡܝܢ ܕܟܠܗ ܥܕܬܐ ܬܪܝܨܬܐ . ܘܠܥܠܡ ܐܡܝܢ .
ܨܠܝ ܡܪܝ ܩܪܘܝܐ ܒܠܒܐ ܕܟܝܐ . ܘܒܥܝ ܘܫܐܠ ܡܢ ܡܪܝܐ ܢܫܒܘܩ ܠܚܘܒܝ .
ܬܫܒܘܚܬܐ ܠܚܝܠܬܢܐ ܠܫܘܒܚܐ ܘܠܐܝܩܪܐ ܐܡܝܢ . ܘܥܠ ܫܢܝܐ ܢܪܚܡ ܘܢܫܘܐ ܠܛܘܒܐ ܐܡܝܢ .

وكُتب على اللوحة التاسعة وهي الاخيرة ما ترجمته :

« بسم الحي الذي لا يموت .

وتحتها صليب كُتب في اطرافه : « الصليب انتصر والصليب ينتصر » وكُتب عن يمينه :

« ساس وخدم الكرسي البطرسي المجدّ ، درجة الجثلقة البطريركية العُليا سنة ٢١١٥ يونانية (١٨٠٤ م) ليكن ذكره في السماء بين المختارين .

وعن يسار الصليب كُتب :

« ساس وخدم كما يجب ابونا الأقدس ايشوعياب درجة المطرابوليطي العُليا والوقرة اربع وثلاثين سنة .

وكُتب في الاسفل ما ترجمته :

« صلِّ واطلب ايها القارئ بقلب نقي واسأل وتضرّع الى المسيح الرب الحي ليُجيز ويمحو ويصفح عن آثامي ويعدّني مع مختاريه ويقيمني عن يمينه في اليوم الأخير . انتهى وله القوة المجد والتوقير دائماً . مات وانتقل على الرجاء الالهي ابونا الطاهر مار ايليا الراعي المختار في سنة ٢١١٥ للاسكندر الملك اليوناني (١٠٨٤ م) : الملك المسيح يغسل آثامه الخفية والعلنية بطلب كل الكنيسة والشعب المسيحي المستقيم . ليعمل تذكاراً مقبولاً امامه ونافعاً لأبينا هذا الطوباوي الراحل على الرجاء السماوي . ليشركه الرب الحنّان مع شمعون بن يونا ، كذلك مع الحكيمات انمه في جنّتك (١) » .

ܨܠܝ ܩܪܘܝܐ . ܘܐܬܟܫܦ ܒܠܒܐ ܕܟܝܐ . ܘܒܥܝ ܘܫܐܠ ܡܢ ܡܪܝܐ . ܕܢܫܒܘܩ
ܠܚܘܒܝ ܘܢܚܘܢܢܝ . ܥܡ ܓܒܝܐ ܕܝܠܗ . ܘܢܩܝܡܢܝ ܡܢ ܝܡܝܢܗ ܒܝܘܡܐ ܐܚܪܝܐ
ܫܠܡ ܟܬܒܐ ܒܫܘܒܚܐ ܕܐܠܗܐ . ܘܠܗ ܬܫܒܘܚܬܐ ܠܥܠܡ ܥܠܡܝܢ .
ܫܢܝ ܘܐܬܢܝܚ ܥܠ ܣܒܪܐ ܐܠܗܝܐ ܐܒܘܢ ܕܟܝܐ ܡܪܝ ܐܠܝܐ ܪܥܝܐ ܓܒܝܐ
ܒܫܢܬ ܬܪܬܝܢ ܐܠܦܝܢ ܘܡܐܐ ܘܚܡܫܥܣܪ ܕܐܠܟܣܢܕܪܘܣ ܡܠܟܐ ܝܘܢܝܐ .
ܡܠܟܐ ܡܫܝܚܐ ܢܚܣܐ ܥܠ ܚܛܗ̈ܘܗܝ ܟܣ̈ܝܐ ܘܓܠ̈ܝܐ . ܒܒܥܘܬܐ ܕܟܠܗ ܥܕܬܐ
ܘܥܡܐ ܟܠܗ ܡܫܝܚܝܐ ܬܪܝܨܐ .
ܢܥܒܕ ܕܘܟܪܢܐ ܡܩܒܠܐ ܩܕܡܘܗܝ ܘܡܘܬܪܢܐ ܠܐܒܘܢ ܗܢܐ ܛܘܒܢܐ ܕܫܢܝ ܥܠ ܣܒܪܐ ܫܡܝܢܝܐ
ܢܫܘܬܦܝܘܗܝ ܡܪܝܐ ܡܪܚܡܢܐ ܥܡ ܫܡܥܘܢ ܒܪ ܝܘܢܐ .

١) وهذا نصها الكلداني :

ܒܫܡ ܚܝܐ ܕܠܐ ܡܐܬ . ܨܠܝܒܐ ܙܟܐ ܘܨܠܝܒܐ ܙܟܐ .
ܕܒܪ ܘܫܡܫ ܠܟܘܪܣܝܐ ܫܒܝܚܐ ܦܛܪܘܣܝܐ . ܕܪܓܐ ܪܡܐ ܕܩܬܘܠܝܩܘܬܐ
ܦܛܪܝܪܟܝܐ ܒܫܢܬ ܬܪܬܝܢ ܐܠܦܝܢ ܘܡܐܐ ܘܚܡܫܥܣܪ ܝܘܢܝܐ . ܢܗܘܐ ܥܘܗܕܢܗ ܥܡ
ܓܒܝܐ ܒܫܡܝܐ .
ܕܒܪ ܘܫܡܫ ܐܝܟ ܕܘܠܐ ܐܒܘܢ ܩܕܝܫܐ ܐܝܫܘܥܝܒ ܕܪܓܐ ܪܡܐ ܕܡܝܛܪܦܘܠܝܛܘܬܐ ܘܩܫܝܫܘܬܐ ܐܪܒܥܐ ܘܬܠܬܝܢ ܫܢܝܢ .

مقبرة بيت الاب (ܒܝܬ ܩܒܘܪܐ ܕܐܒܘܢܐ) :

لو درسنا تاريخ الطائفة الكلدانية لعلمنا مقدار ما وصلت اليه عائلة بيت الاب(١) من السيطرة والسؤدد ، الامر الذي جعل لافرادها ميزة على غيرهم حتى بعد مماتهم ! . لانهم كانوا يُدفنون في مقبرة خصوصية قريبة من الدير ، ويمكن للزائر ان يشاهدها اذا ما سلك الطريق الفوقانية للدير (٢) فيشاهد قبيل وصوله الدير عدداً من القبور المنحوتة في الصخر كان يُدفن فيها سابقاً موتى هذه العائلة (٣) .

مقبرة الغرباء (ܒܝܬ ܩܒܘܪܐ ܕܐܟܣܢܝܐ) :

وهي في اسفل الدير ، وتتألف من قبور الذين يتوفون في الدير وليس هم من اهل القوش او من المذهب الكاثوليكي ايضاً .

المخاتري :

وبالقرب من مقبرة الغرباء توجد المخاتري وهي كلمة كردية تدل على مكان استقبال الزوار من قبل ارباب الدير .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

١] لا يزال في القوش بقية من هذه العائلة ، لكنهم اليوم ليسوا بذوي تأثير يُذكر كما كان عليه اسلافهم .

٢) انظر صحيفة ١٩ من هذا الكتاب .

٣) ان منشأ هذا الطراز من القبور الصخرية المنحوتة يرجع الى عهد قديم جداً . راجع مقالتي : الآثار في خنس وبافيان (النجم ٥ : ٣١١ – ٣١٩ ، المراجعة ص٣١٦) .

مصلى تلخش ([illegible]) :

كان الدير في الزمان السابق مأهولاً بعدد وافر من الرهبان ، وفضلاً عن ذلك فقد كان يقصده جموع غفيرة من الناس للقيام براسيم الصلاة فيه ، الامر الذي ينشأ عنه الازدحام .

وقد كان الازدحام يحصل خاصةً في عيد الربان هرمزد ولهذا لم يكن الدير ليساعد على استيعاب الجماهير التي تؤمه . وكان من جملة هذه الجماهير اهالي قرية تلخش (١) لكنهم لم يكن ليتاح لهم دخوله نظراً لما يكون قد حصل فيه من الازدحام . ولهذا اقاموا لهم مصلىً صغيراً على قمة غربية من القمم المحيطة بوادي الدير . ويبعد هذا المصلى عن الدير مسيرة دقائق قليلة وهو مبني بصخور منتظمة على شكل المنبر، ويمكن رؤيته من الدير .

---

١) تلخش او تل الملك حش [؟] قرية جميلة تقع وراء السفح الشمالي من جبل القوش، وفيها مزارع ومناظر طبيعية مدهشة ، ويقع بالقرب منها تل يحتوي على آثار قديمة ، فضلاً عن قلعة أوسباوا القديمة [؟] وتعود تلخش اداريا الى قضاء دهوك .

الفصل الثالث

شؤون الدير

زوار الدير :

لا يمر يوم من ايام السنة تقريباً إلا ويقصد هذا الدير عدد من الزوار . اما القادم اليه فيأتيه على الغالب مشياً من القوش او من دير السيدة . على ان ادارة الدير السابقة (بهمة الانبا يوسف داديشوع نجار) قد أحسنت صنعاً بتمهيد معظم الطريق لتوصل ما بين الديرين بواسطة السيارات . وها ان الزائر سوف لا يعاني اتعاب السير مدة (٤٥) دقيقة في ارض جبلية وعرة ، بل صار في وسعه ألا يمشي الآن – بعد إصلاح الطريق – إلا (١٥) دقيقة !..

وفي يوم الاثنين بعد العيد الكبير يقع عيد الربان هرمزد ، فترى اهالي القوش يهرعون رجالاً ونساء واولاداً لزيارة هذا الدير والتبرك به ، فيقيمون فيه نهارهم ، ومنهم من يفضل المبيت هناك . كما انهم يقصدونه ايضاً في ١٧ كانون الثاني حيث يقع فيه عيد مار انطونيوس الكبير ابي الرهبان . وفي مدة إقامتهم في الدير يأكلون ويشربون وينامون على نفقة الدير ، ولكن اكثرهم يقدّم نذوراً للدير من نقود او حلى او غير ذلك من العطايا .

ويقصده الناس في الربيع والصيف طلباً للهدوء والسكينة والتماساً للهواء النقي الجبلي . ولقد زار هذا الدير عدد عظيم من العلماء والسواح الغربيين ، وحاز على قسط وافر من ابحاثهم وتدقيقاتهم ، نخص بالذكر منهم : ريج ، بوري ، فرازر ، فـلايتشر ، بادجر ، بومشترك ، مارتان ، لايارد ، ساشو ، بدج ، ستيفنز ، لوك ، فوستي ، شخت وغيرهم . اما من الشرقيين فنخص بالذكر منهم السمعاني (صاحب المكتبة الشرقية) ولويس شيخو ، وبيجان وأدي شير وغيرهم ...

دفتر الزوار :

و كما هو الحال في بعض المؤسسات والمعاهد فانها هنا في هذا الدير . إذ ان الزائرين يكتبون اسماءهم في سجلات محفوظة ، كما ان السذّج منهم من يكتب ذلك على جدران الدير تبركاً وتذكاراً .

وفي سنة ١٩٠٢ رأى المأسوف عليه الابا شموئيل جميل رئيس الاديرة العام ان يكون للدير سجلاً يضم بين دفتيه اسماء الزائرين مع تواريخ الزيارات الى غير ذلك من الملاحظات ، فصار يكتب ذلك بنفسه، واستمر على هذه الخطة حتى وفاته (* ١٩١٧) ولكن الرئاسة العامة رأت سنة ١٩٢٦ ان يكتب الزوار انفسهم بعض ما يعنّ لهم من الخواطر والملاحظات مع وضع تواقيعهم ، لا كما كان الرئيس يكتبها سابقاً . فأصبح للدير من هذه الملاحظات مجموعة نفيسة تُعد بالمئات ، وقد كُتبت بلغات متعددة ما بين شرقية وغربية ، فقد يقع نظرك على كتابات باللغة العربية والكلدانيـة والسريانيـة والسورث والارمنية والفارسية والتركية والعبرانية والانكليزية والافرنسية واللاتينية والايطالية وغيرها .

اسباب بقاء الدير :

بالرغم من الكوارث والنكبات التي حلت بالدير (١) فانه تمكن ان يغالب الدهر وصروفه خلال الف وثلثمائة من السنين ، وهذه لعمري فترة طويلة تمرّ على مؤسسة من المؤسسات ، ذلك مع العلم بان هناك كثيراً من الاديار التي أسست ولكنها لم تعتم حتى اندثرت . اما اسباب بقاء هذا الدير فتنحصر في :

١- وجوده بالقرب من القوش التي كثيراً ما كانت حصناً منيعاً له في تلك الجهات فضلاً عن المساعدات المادية والمعنوية التي يلقاها منها .

١] من يطالع في كتب الجغرافيا القديمة التي وضعها العرب كمعجم البلدان للحموي لدى القول في ذكر الدَيْرَة (٤:١١٩ - ١٨٥ من طبعة مصر) ومسالك الأبصار لابن فضل الله العمري (١:٢٥٤ - ٣٧٣ من طبعة احمد زكي باشا ١٩٢٤) وغيرها ، يقع على ذكر عدد هائل من الأديار العراقية التي كانت منتشرة في مختلف انحاء العراق . ولكنه لو عاد بهذه الأديار الى عالم التحقيق لألفى معظمها قد انطمست معالمه واصبح قاعاً صفصفاً . . .

٢- موقعه الحصين في الجبل (١)

٣- موقعه القريب من طرق المواصلات المؤدية الى مراكز الحكومة .

٤- تضحياته ومساعداته : فانه مأوى على طول السنة للمسافرين والعابرين من الناس على اختلاف اديانهم ونحلهم .

٥- العلاقة الحسنة بين بطاركة الكلدان مع ولاة الحكومة والباشوات ، مما أدى الى عطف الحكومة على هذا الدير .

املاك الدير وواردات :

لهذا الدير املاك واوقاف مهمة منها : العقار الممتد من سفح جبل الربان هرمزد شمالاً الى تل الشرفية جنوباً ، اما حدوده الشرقية فهي طبيعية بوجود الوادي المتاخم لعقار قرية بوزان (٢) ويقال له الوادي العميق ، اما من الجهة الغربية فالوادي المتاخم لعقار القوش ويُدعى وادي الدير (٣) . وللدير ايضاً قرية بهنداوا (٤) وبجانبها بستان جميلة تُدعى باسم القرية وهما في غرب الدير على مسافة خمسة اميال منه . ومما هو ملحق بها روبال (٥) بهنداوا ، وهو يدير ست رَحَيات كل اثنتين منها مزدوجتان : اثنتان في بهنداوا واربع في قرية قصرونا .

وللدير في السفح الشمالي من جبله كرم عظيم ، يمتاز بجودة عنبه ، والطريق المؤدية اليه قد تكون من أروع المناظر الطبيعية في جبل بيث عذري . . .

١] اننا نجد الكثير من الأديرة القديمة كانت تشاد على المرتفعات ، واذا ما علمنا كثرة المخاوف والهاجمات التي كانت تحدث وتنتشر لأبسط الأسباب وأوهنها ، أدركنا السبب في ذلك ، وعلمنا الحكمة في التسامي والتباعد .

٢] بوزان قرية تبعد عن دير السيدة مسيرة ٢٠ دقيقة ، وكانت سابقاً مأهولة بالمسيحيين . اما الآن فيسكنها الشعب اليزيدي .

٣] يُدعى هناك ܕܝܪܐ ܪܒܐ والعمر : بضم اوله وسكون ثانيه بمعنى الدير الكبير .

٤] جنداوا كلمة آرامية معناها مزرعة الشمزي (من هندوايا ܗܢܕܘܝܐ -شمزي) راجع دليل المصايف العراقية ليونان عبو اليونان (ص٧٦) .

٥] جاء في مجلة لغة العرب (٣:٤٨٦) ان الروبال كلمة كردية بمعنى النهر او الساقية تكون في الجبال او بين الجبال . وهي منحوتة من « رو » اي نهر و « بال » اي عال .

كما ان للدير قرية الشرفية (انظر ص ٦ من هذا الكتاب) وله في القوش عدة ممتلكات ، وله بيت في الموصل وخان في تلكيف .

اما واردات الدير فتتكون من المحاصيل الزراعية المتأتية عن عقاراته وبساتينه ، ومن النقود المتأتية عن اجور الاملاك القائمة والارحية والنذور والمساعدات . على ان هذه الواردات قد نقصت في السنوات المتأخرة نقصاناً بيناً عما كانت عليه سابقاً ، ومع ذلك فهي لو أستخدمت بصورة منتظمة لقامت كما يجب بكل نفقات الدير ومستلزماته التي تتطلبها الرهبنة هناك .

المشاريع الاصلاحية للدير :

وضعية الدير في الوقت الحاضر لا بأس بها ، ولكن ذلك لا يعني انه مستكمل لكل ما كان يجب ان يستكمله . وفي اثناء زياراتي المتكررة له تمكنتُ ان اجد بعضاً مما يجب إدخاله للدير او تغييره او إصلاحه وهي كما يلي :

١- تتمة تعبيد الطريق بصورة حسنة الى قرب باب الدير حتى تتمكن السيارات من الوصول رأساً .

٢- تحسين الطرق التي بداخل الدير وكذلك الدرجات والممرات التي لا تزال بحالة ابتدائية .

٣- الاعتناء بالصهاريج الكثيرة المهملة ، التي قد تعطلت عن اختزان الماء ، فتصرف مياهها بعد الاصلاح على الشؤون الزراعية داخل الدير .

٤- زراعة بعض المخضرات الصيفية والشتوية لتقوم بحاجيات الرهبان والزائرين .

٥- تشجير الوادي بالاشجار الكثيرة التي لا تحتاج الى الإسقاء (الديم) كالبلوط والعفص والجوز والتين والصنوبر والزعرور والبطم الخ . . . فيزداد الوادي بذلك جمالاً اضعاف ما هو عليه الآن .

٦- تشييد بنايات مجاورة للدير لتساعد على استيعاب الزائرين بقياس أوسع مما عليه الآن، خاصةً وان قوانين الرهبنة الحالية قد اخذت في الوقت الحاضر تتصعب في قبول الزائرين لمدة طويلة . . . وفضلاً عن ذلك فان واردات الدير تزداد زيادة محسوسة عما هي عليه الآن .

٧- تجديد بناية كنيسة سيدة الوردية وكذلك كنيسة سيدة الكرمل ، لئلا تنطمس

معالمها بتاتاً ، وبهذا تكون كنائس الدير قد أضحت جميعاً بحالة حسنة .

٨- وضع الواح برنزية على باب كل كنيسة او موقع مهم في الدير ، لتدل كتابتها عليه، وإن امكن فوضع كتابات داخل أُطُر لتكون دليلاً يطالعه الزوار ، فيستغني بذلك عن طرح الاسئلة العديدة على الرهبان والخدم فيما يخص الدير ، الذين لجهلهم كثيراً ما يشوّهون الحقائق امام السائل . ويستحسن ان تكون هذه الكتابات بعدة لغات كالعربية والكلدانية والانكليزية والافرنسية .

٩- الاهتمام في امر المكتبة النفيسة الموجودة في الدير :

ا : بتنسيق كتبها حسب مختلف الفروع ، وايجاد فهارس كاملة تشتمل على المخطوطات والمطبوعات الموجودة فيها .

ب: بتعيين واحد او اثنين من الاخوة الرهبان للتخصص بشئون المكتبة ، يتناول علمها محتوياتها ووصفها .

د : تخصيص قاعة لمطالعة الرهبان (او غيرهم) كما هو جار في المكتبات الاخرى .

١٠- تحسين حالة الثقافة ورفع المستوى العلمي باكثر مما هو الآن ، وتلقين الرهبان المبتدئين بعض المبادئ العلمية السائرة مع تحديد سنيّ الدراسة ، وجلب معلمين قديرين للحصول على الغاية المطلوبة . فانه لا يكفي لمعهد او لجمعية ان تعنى فقط بتحسين الماديات، بل يجب ايضاً ان تُقبل على تحسين الحالات النفسية والفكرية معاً . فكما ان الدراهم تصرف بسخاء للشؤون المادية ، كذلك يجب اعطاء القسط الكافي لمشروع تثقيف الناشئة الرهبانية .

***

ولتلافي النقص الثقافي المستولي على الرهبان نقول انه من الممكن شراء مطبعة مجهزة بالاحرف العربية والكلدانية والافرنجية ، وايداعها في دير السيدة ، لتقوم بين الحين والحين بنشر النفائس من المخطوطات القديمة الموجودة في مكتبة الدير او غيرها من الخزائن مما لم يُنشر بعدُ . ولاشك ان الإقدام على هذا العمل لما يرفع مكانته بين سائر الاديرة الشرقية ، وهو بنفس الوقت يكون قد قام بالواجب المحتم عليه بشأن

نشر العلم شرقاً وغرباً .

ان القيام بهذا العمل يجب ان يكون من قِبل الرهبان انفسهم .ولا يمكن التوصل الى ذلك إلا برفع المستوى العلمي والثقافي . وعندئذ تُوزّع هذه الاعمال بينهم حسب الكفاءة . وينجم عن هذا المشروع فوائد جمة للطائفة الكلدانية منها :

ا – احياء الطقس الكلداني وآداب اللغة الكلدانية (باعادة طبع بعض الكتب النافذة واستنساخ البعض الآخر) .

ب – تثقيف القرى المسيحية بمساعي الرهبان المرسلين اليها .

اما كيفية الحصول في مبدأ الامر على رهبان مثقفين فيكون بإرسال بعض النابهين منهم الى الخارج كمدينة روما او غيرها لمواصلة الدرس والتحصيل ، فيُكبّون هناك على درس الابحاث الدينية والشرقية على الاصول والطرق الحديثة . ثم يعودون ليقوموا بامر تنوير غيرهم وهكذا الى ان يصبح في الدير عدد وافر يمكنهم عندئذ من القيام بالنشر والتأليف . . .

***

ان كل ما ذكرته من الوجوه الإصلاحية لا تحتاج من الزمن لإنجازها على اكبر تقدير الخمس عشرة سنة . وليست هذه بالمدة الطويلة على مؤسسة عظيمة كهذه يُعدّ عمرها بمئات السنين ! . . .

الفصل الرابع

مكتبة الدير

كانت المكتبة في عهدها الاول تحتوي على عدد كبير من المخطوطات التي لا تثمن لنفاستها ، وقد كانت مكتنزة في غرفة صخرية لا تزال موجودة بدير الربان هرمزد ، ولكن الظروف القاسية التي انتابت هذا الدير ، وما احاط به من نكبات وخاصة عندما هجم الاكراد عليه حوالي سنة ١٨٤٤ فنكبوا الرهبان وأعملوا على التدمير وأولعوا النيران في البناية وقتلوا كل من عثروا عليه (١) . وقد أتيح للرهبان من تهريب نحو (٥٠٠) مخطوطة عن عيون اولئك المهاجين وايداعها في قبو قديم عند رابية مجاورة للدير ، ولكن سوء الحظ رافق تلك الكتب حتى اتى على آخرها ، وذلك انه كان قد سقط مطر مدرار غزير ، وسال تياره من اعالي الجبل ، فاجتاح ذلك السيل لدى نزوله كلاً من الكتب والبناية التي تحويها معاً ، ولم يعد في الامكان روءية شيء منها بعد ذلك وهناك عدد عظيم من المخطوطات كان قد اتلفه الاكراد فقطعوها إرباً على مرأى من الرهبان ورموا بأجزائها في تلك الوهاد التي لا قعر لها ولا حد ، فساقها تيار الوادي الذي كان يسيل بجانب الدير .

ان تلك الكتب كانت ذات نفاسة وقيمة كبيرتين ، فقد قال عنها ربج وقتئذ :

« ... بعض المخطوطات الكلدانية والسريانية التي فُقدت ، لاشك انها كانت تلقي لنا ضوءاً على هذه المكان العجيبة . فقد كان محفوظاً سابقاً في هذا الدير نحو (٥٠٠) مجلد من المخطوطات الاسطرنجيلية القديمة المكتوبة على الرق ، ولكنها بالنتيجة كانت قد مُزقت إرباً إرباً ورُميت في الوادي ، فتقاذفها الهواء واخذ في مداعبتها حتى تركها هباء منثوراً . وقد عُرض امامي بعض الاوراق المبعثرة لأتفرج عليها ، فكانت ولا

---

١) مقدمة القسم الأول من المجلد الثاني لكتاب :

Budge : The Hist. of R. Hormizd.

مراء من أنفس الآثار القديمة » (١)

كما ان البعض منها كان قد أحرق (٢) . واما ما تبقى فقد نُقل بانتقال الرهبنة سنة ١٨٦٩ الى دير السيدة . ومن ثَمَّ صار يُطلق عليها اسم « مكتبة دير السيدة » .

وقد ذكر فلايتشر في كتاب رحلته شيئاً عن المكتبة التي كانت بهذا الدير قبل نقلها الى دير السيدة فقال :

« . . . وفي الصباح زرتُ المكتبة التي كانت ايضاً مغارة (صومعة) وكان قد انتثر على ارضيتها اوراق المخطوطات الممزقة والاغلفة النصف محترقة ، تلك التي تحملت بعض التحمل تدمير المخربين .

« وقد كان الرهبان مكبين على استنساخ شيء من تلك القطع التي لا تزال قراءتها ممكنة ، وذلك على ورق مشابه للرق في مظهره . اما الحبر الذي يستعملونه فيمتاز بلونه اللماع الجميل . وهم يكتبون باقلام القصب ويستغنون عن المائدة او الدرج ، بل يضعون الورق على ركبتهم » (٣) .

والمكتبة في الوقت الحاضر مخزونة بدير السيدة في ثلاث غرف صغيرة بالطابق الارضي ، الواحدة بجانب باب الكنيسة والاثنتان الاخيرتان بصدر الدير . وتضم هذه الغرف عدداً كبيراً من الكتب ، كما ان فيها الشيء النفيس من المخطوطات الاسطرنجيلية والآرامية والكرشونية (٤) ومعظمها من الكتب الباحثة في الامور الدينية كالصلوات

---

1) *Rich : Narrative of a Residence in Koordistan and Nineveh « Vol. II,* 1836, *P.* 95-96 ».

2) *Badger: The Nestorians and their Rituals « Vol I, P.* 102 »

3) *Rev. J. P. Fletcher ; Narrative of a Two Years' Residence at Nineveh, and Travels in Mesopotamia, Assyria and Syria « Vol. I,* 1850, *P.* 252-253 ».

٤) هنا نجد ضرورة الى ايضاح ما ذُكر من هذه التسمية :

فالاسطرنجيله *Estrangelo* ، هي الصورة الأولية القديمة للأبجدية الآرامية ، ومنها تفرعت الكتابة الكلدانية والسريانية على نحو ما نراها مستعملتين الآن (راجع مقدمة اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية للسيد اقليميس يوسف داود ، وكذلك كتاب « تاريخ اللغات السامية » للدكتور اسرائيل ولفنسون ، ١٩٢٩ ، ص١٤٤ - ١٦٠) وكتاب الفلسفة اللغوية لجرجي زيدان (١٩٠٤ ، ص ٤) .

والطقوس والاناجيل، على ان بينها عدداً وافراً من الكتب الادبية والتاريخية والفلسفية والدواوين الشعرية التي صدرت منذ مئات السنين وحتى اليوم ·

اما الكتب المطبوعة فهي باللغات العربية والكلدانية والعبرانية والتركية واللاتينية والانكليزية والفرنسية والايطالية والالمانية ويربو عددها على الاربعمائة والخمسين كتاباً بينها نحو خمسين باللغة الكلدانية ·

وللمكتبة بعض الفهارس ، وضعها اهل الفضل والعلم غيرة على الدير والعلم معاً وهي:

١ ـ *مخطوطات دير السيدة* : للطيب الذكر المطران أدي شير · فانه عندما كان كاهناً ، أتيح له في صيف سنة ١٩٠٢ ان يقضي بضعة اسابيع في دير السيدة ، وتمكن خلالها من ان يأخذ نقاطاً وملاحظات مهمة افادته فيما بعد في تنظيم قائمته لأثمن المخطوطات الآرامية المحفوظة في هذه المكتبة ، ومع انه كان قد بذل مجهوداً كبيراً في سبيل

اما الفرق بين الكلدانية والسريانية ، فقد نشأ منذ انقسام المسيحيين المتكلمين بالآرامية الى نساطرة ومنوفيزتيين فأصبحت الأولى لغة النساطرة والكلدان ، والثانية لليعاقبة والسريان والموارنة .

اما « الكرشونية » فهي اللغة العربية اذا ما كُتبت بأحرف آرامية ، وقد نشأت ما بين متكلمي اللغة الآرامية الذين يسمعون ويتكلمون العربية دون ان يعرفوا الكتابة بحروفها .

وطريقة كتابة لغة بأحرف لغة أخرى أمر مألوف كثيراً في الشرق الأدنى والأوسط . فان هذه العادة كانت جارية حتى قبل الأزمان المسيحية ؛ حيث اننا نجد الواحاً عليها كلمات سومرية وآشورية ، مع انها كُتبت بأحرف يونانية . راجع :

***Luke : Mosul and its Minorities* (1925, *P.* 108-109).**

وكذلك نجد سكان الاقطاعيات السلوقية المتكلمين بالآرامية (في جنوب ما بين النهرين) يتخذون الكتابة اليونانية فقط ، فيكتبونها وكذلك يحفرونها على مسكوكاتهم راجع عن ذلك : ***J. de Morgan : Manuel de Numismatique Orientale* (*Paris*, 1924, *P.* 197).**

وقد روى باري ، انه وجد بديات في طورعبدين ، نسخة خطية من الأناجيل يرجع عهدها الى القرن التاسع الميلادي ، وهي باللغة اليونانية ، لكنها مكتوبة بالخط الاسطرنجيلي . راجع : ***O. H. Parry : Six Months in a Syrian Monastry : being the record of a visit to the head quarters of the Syrian Church in Mesopotamia* « 1895, *P.* 338 ».**

ذلك ، فانه لم يستطع ان يصف إلا ١٥٣ مخطوطة (١) .

امامي الآن هذه القائمة ، فاذا به قد صنف تلك المخطوطات حسب المواضيم التالية:

من رقم	١ — ١٩		الكتب المقدسة
»	»	٢٠ — ٣٥	شروح وتفاسير للكتب المقدسة
»	»	٣٦ — ٥٢	الفلسفة واللاهوت
»	»	٥٣ — ٨٩	ابحاث طقسية
»	»	٩٠ — ٩٤	الحق القانوني
»	»	٩٥ — ١١٣	سير القديسين
»	»	١١٤ — ١٣٠	اعمال النسك والزهد
»	»	١٣١ — ١٤١	صرف ونحو وابحاث لغوية
»	»	١٤٢ — ١٥٣	متفرقات .

٢ــ قائمة المكتبة السريانية الكلدانية لدير السيدة حافظة الزروع : للعلامة المستشرق الاب فوستي ، فانه قصد الدير من روما سنة ١٩٢٦ واقام فيه اربعة اشهر أتقن خلالها اللغة الكلدانية ، وتمكن من وضع هذه القائمة المفيدة (٢) التي تشتمل على وصف (٣٣٠) مخطوطة . وقد صنفها حسب المواضيم التالية :

من رقم	١ — ٣١		الكتب المقدسة
»	»	٣٢ — ٥٠	شروح وتفاسير للكتاب المقدس
»	»	٥١ — ٩١	الفلسفة واللاهوت

---

١) وقد أودع كل ذلك في مقالته :

Notice sur les manuscrits syriaques conservés dans la bibliothèque du couvent des Chaldéens de Notre-Dame des Semences. التي نشرها في المجلة الاسيوية : *Journal Asiatique, Mai-Juin, pp. 479-512, et Juillet-Août, pp. 56-82; 1906.*

ثم طبعها بنفس السنة في كراسة خاصة تقع في ٦٥ صفحة .

2) *J. M. Vosté o. p: Catalogue de la Bibliothèque syro-Chaldéenne de N.-D. des Semences* [*Geuthner, Paris,* 1929 130 *p.*]

من	رقم	٩٢ — ١٦٨	ابحاث طقسية
»	»	١٦٩ — ١٧٩	الحق القانوني
»	»	١٨٠ — ٢٢٥	التاريخ العام وسِيَر القديسين
»	»	٢٣٦ — ٢٨٤	اعمال النسك والزهد
»	»	٢٨٥ — ٣١٩	صرف ونحو ، ابحاث لغوية ، دواوين شعرية
»	»	٣٢٠ — ٣٣٠	متفرقات .

ولكن مخطوطات الدير في الوقت الحاضر تبلغ ٣٥٠ كتاباً ، بزيادة (٢٠) مخطوطة عما كانت عليه ايام وضع فوستي قائمته لها . اما ابحاث هذه المخطوطات الجديدة ، فما لا يخرج عن دائرة المواضيع التي ذكرناها في الجدولين السابقين .

٣ـ كما ان المرحوم الانبا شموئيل جميل ؛ ذلك العلامة المنقب ، قد أدّى خدمة جليلة لهذه المكتبة ، فانه تمكن بغيرته ونشاطه من جمع كل المخطوطات السريانية والكلدانية وجعلها في مكتبة خصوصية ، حيث يظهر ان جميع هذه الكتب كانت قبل عهده موضوعة على غير تنسيق او نظام بعية الكتب المطبوعة في مكتبة واحدة وهي التي بجانب الكنيسة .

ولقد ازداد عدد المخطوطات بعد استقرار الدير وتخلصه من تلك المناوشات والاضطهادات الكثيرة ، فهناك عدد من النساخ ينسخون للدير كثيراً من الكتب التي لا وجود لها في هذه المكتبة ، فيتّسع بهذا عددها . واكثر هولاء النساخ من اهل القوش (١) . ولهذا فلا غرو اذا دُعيت القوش على سبيل المجاز بمطبعة الدير التي تُمدّه بالكتب بين آونة وأخرى ! . .

اما المخطوطات فقد نشر جانب منها ، وأعظم من قام بأعمال النشر او الترجمة لها هم بيجان وبدج وشابو ودوفال ومنكنا وملوس وفوستي وغيرهم . . . وسنذكر فيما يلي بعضاً مما نُشر :

١] أذكر من بين هولاء النسّاخ في الوقت الحاضر : بولس قاشا ° يوسف ابونا ° متى حداد .

١ـ ما نشره الاب بولس بجان :

١ – ܟܬܒܐ ܕܡܐܡܪ̈ܐ ܕܡܕܪ̈ܫܐ تأليف نرسي ومار افرام وقد طبعه في :

Brevarium Chaldaicum (*Pars I.*)

٢ – اشعار مار افرام عن يوسف (طبعها سنة ١٨٩١)

٣ – اعمال الشهيد سابا

٤ – حياة مار اوجين

٥ – كتاب الرؤساء لتوما المرجي (طبعه سنة ١٩٠١)

٦ – ܟܬܒܐ ܕܦܪܕܝܣܐ ܕܥܕܢܝܐ (طبعه سنة ١٨٩٧)

٧ – كتاب العفة تأليف ايشوعدناح مطران البصرة (طبعه سنة ١٩٠١ مع كتاب الرؤساء)

٢ـ ما نشره المستشرق الفرنسي شابو J. B. Chabot

١ – السنهادوسات اي المجامع النسطورية (باريس ، ١٩٠٢ *Synodicon orientale*

٢ – تاريخ يوسف بوسنايا (ترجمه الى الفرنسية ونشره في مجلة الشرق المسيحي ،باريس ١٨٩٧ – ١٨٩٩)

٣ – كتاب العفة (طبعه وترجمه ، روما ، ١٨٩٦)

٣ـ ما نشره المستشرق الانكليزي بدج :

١ – تاريخ الاسكندر الكبير (كمبردج ، ١٨٨٩)

٢ – كتاب الرؤساء لتوما المرجي (طبعه سنة ١٨٩٣)

٣ – قصيدة سرجيوس في الربان هرمزد (طبعها سنة ١٨٩٤)

٤ – سيرة الربان هرمزد (نشر الاصل والترجمة بالانكليزية سنة ١٩٠٢)

٥ – سيرة الربان برعيتا (نشر الاصل والترجمة مع الكتاب السابق)

٤ـ الكتب التي طبعها منكنا :

١ – ܡܐܡܪ̈ܐ ܕܡܪܝ ܢܪܣܝ [illegible] (طبعه في *Narsai homiliae* الموصل ١٩٠٥ ، المجلد الاول ، ص ٢٧٠)

٣- ميامر نرسي (المجلد الثاني منها طبعه في الموصل سنة ١٩٠٦)

وقد نشر دوفال (*Rubens Duval*) قاموس حسن بهلول (باريس ١٨٨٨ — ١٨٩٦) .

وطبع هاريس (*M. R. Harris*) قصة احيقار سنة ١٨٩٨

وقد طبع المطران ايليا ملوس عدة قصائد كلدانية لمار افرام وغيره ، وذلك في :
(*Directorium spirituale, Rome*, 1868].

***

وإتماماً للفائدة رأينا ان نورد للقارئ نخبة من اسماء المخطوطات القديمة المحفوظة في هذه المكتبة التي يرجع عهد جميعها الى ما قبل القرن التاسع عشر الميلادي ، وسنذكرها مع سنيّ كتابتها ورقمها كما في قائمة فوستي :

١ (عند فوستي رقم XVI) الاناجيل الاربعة : حسب ترجمة توما الحرقلي(١) مخطوطة على الرق بالخط الاسطرنجيلي ، يرجع عهدها الى القرن العاشر الميلادي . وفي الحواشي ايضاحات وتفاسير مأخوذة عن آباء الكنيسة ، كما ان فيها بعض الكلمات اليونانية المقتبسة عن الاصل اليوناني .

٢ (XV) العهد الجديد (حسب النسخة البسيطة) . مخطوطة على الرق بالاسطرنجيلية كُتبت سنة ١٥١١ يونانية (٥٩٦ هجرية ، ١٢٠٠ ميلادية) .

٣ (LXIII) ܟܬܒܐ ܕܕܝܐܠܘܓܘ « كتاب المحاورات » تأليف يعقوب بن ساكو المتوفي سنة ١٢٤١ م ، وهي مخطوطة كُتبت سنة ١٥٦٦ يونانية (١٢٥٥ م) .

٤ (CCXXXVII) ܡܐܡܪܐ ܕܥܠ ܫܠܝܐ ܕܥܒܝܕ ܠܩܕܝܫܐ ܪܒܢ ܡܪܝ ܕܕܝܫܘܥ ܩܛܪܝܐ « ميمر (مقالة) على السكوت المؤلف من قبل القديس الربان مار داديشوع قطرايا » كُتبت لدير الربان هرمزد سنة ١٦٠٠ يونانية (١٢٨٩ م) .

٥ (CCXCI) مجموعة ابحاث لغوية (بالكلدانية) تتألف من ١٧ رسالة ، كُتبت سنة ١٧٩٠ ي ، (١٤٧٩ م) .

٦ (CCLVI) ܐܠܦܐ ܪܘܚܢܝܬܐ « السفينة الروحية » تأليف مسعود من طورعبدين

١] انظر « اللغات الآرامية وآدابها » تأليف شابو وترجمة انطون شكري لورنس (ص ٣٨).

(١٧٩٢ ي ، ١٤٨١ م) .

٧ (XX) الكتاب المقدس الموزعة ابوابه على مدار السنة ، بالاسطرنجيلية (١٨٥٣ ي ، ١٥٤٢ م) .

٨ (XCII) ܛܟܣܐ ܕܟܗܢܐ « طقس الكهنة » (١٨٨٩ ي ، ١٥٧٨ م) .

٩ (CLXII) اشعار كيوركيس وردا (بالكلدانية) ١٨٩٢ ي ، ١٥٨١ م .

١٠ (CCLII) ܟܬܒܐ ܕܫܘܦܪܗܘܢ ܕܥܝܕܐ « كتاب حسن الاخلاق » تأليف يوحنا الموصلي (١٩٢٤ ي ١٦٦٣ م) .

١١ (CXV) ܓܢܬܐ ܕܥܐܕܐ ܘܕܘܟܪܢܐ ܕܟܠܗ ܫܢܬܐ « جنة الاعياد وتذكارات كل السنة (حسب طقس الدير الأعلى وديرمار ابراهام) ١٩٨٣ ي ، ١٦٧٢ م . وهناك نسخة احدث (فوستي CXVI) بتاريخ ١٦٨٧ ، واخرى (CXVII) بتاريخ ١٧٢٤ م .

١٢ (CLXXXIII) ܬܫܥܝܬܐ ܕܡܪܬܢ ܡܪܝܡ « قصة السيدة مريم » ١٩٩١ ي ، ١٦٨٠ م (وهناك نسخة احدث (CLXXXIV a) بتاريخ ١٦٩٠ م .

١٣ (CCCXXV) ܟܬܒܐ ܕܠܘܩܛܐ « منتخبات » يتألف من ٩٦ رسالة لمؤلفين مختلفين ١٩٩١ ي ، ١٦٨٠ م .

١٤ (CLXIII) ܥܘܢܝܬܐ ܕܡܕܒܪܢܘܬܐ ܕܡܪܢ ܠܡܠܦܢܐ ܓܝܘܪܓܝܣ ܘܪܕܐ « الحان التدبير الرباني المؤلفة من قبل الملفان كيوركيس وردا » ١٩٩٣ ي ١٦٦٢ م . وهناك نسخة احدث (CLXIV) بتاريخ ١٧٢٠ م .

١٥ (CLXXVI) ܟܬܒܐ ܕܫܘܐܠܐ ܘܦܘܫܩܐ ܕܬܫܡܫܬܐ ܕܡܕܒܚܐ ܒܟܠܗܘܢ ܛܟܣܝܗ « كتاب الاسئلة والتفاسير لخدمة المذبح في كل طقوسه » هذا الكتاب يتألف من ١٧ رسالة ، ١٩٩٤ ي ، ١٦٨٣ م .

١٦ (CXLVII) ܟܬܒܐ ܕܐܒܘ ܚܠܝܡ « كتاب ابي حليم » ١٩٩٤ ي ، ١٦٨٣ م .

١٧ (XLV) ܦܘܫܩܐ ܕܟܬܒܐ ܕܚܕܬܐ « شرح العهد الجديد لايشوعداد اسقف الحديثة في بلاد آثور ، ٢٠٠٩ ي ، ١٦٩٨ م .

١٨ (CLXXXIX) تاريخ مار اوجين (بالكلدانية) ٢٠٠٩ ي ، ١٦٩٨ م .

١٩ (CXC) ܟܬܒܐ ܕܪ̈ܫܢܐ « كتاب الرؤساء » لتوما المرجي ، ٢٠١٢ ي ، ١٧٠١ م .

٢٠ (XLIV) ܦܘܫܩܐ ܕܝܘܚܢܢ ܐܘܢܓܠܝܣܛܐ ܕܥܒܝܕ ܠܡܪܝ ܬܐܘܕܘܪܘܣ ܐܦܣܩܘܦܐ ܕܡܘܦܣܘܣܛܝܐ ܡܦܫܩܢܐ ܕܟܬܒ̈ܐ ܐܠܗܝ̈ܐ « تفسير يوحنا الانجيلي تأليف الاسقف مار ثيودوروس مفسر الكتب الالهية » ٢٠١٥ ي ، ١٧٠٤ م .

٢١ (CXX) ܟܬܒܐ ܕܚܘܕܪܐ ܕܟܠܗ ܫܢܬܐ « كتاب الحوذرا لكل السنة » ٢٠١٦ ي ، ١٧٠٥ م .

٢٢ (XXXV) ܟܬܒܐ ܕܥܠ̈ܠܬܐ ܕܡܙܡܘ̈ܪܐ ܕܛܘܒܢܐ ܕܘܝܕ « كتاب العلل لمزامير الطوباوي داود » ٢٠٢١ ي ، ١٧١٠ م .

٢٣ (XLVIII) ܟܬܒܐ ܕܐܘܨܪ ܐܪ̈ܙܐ « كتاب مخزن الاسرار » وهو تفسير الكتاب المقدس كله . تأليف غريغوريوس ابن العبري ، ٢٠٢٢ ي ، ١٧١١ م .

٢٤ (CIII) ܟܘܪܣܐ ܕܡܝ̈ܬܐ ܐܘܟܝܬ ܟܗܢܝܬܐ ܕܩܒܘܪܐ ܕܟܗ̈ܢܐ ܘܡܫܡ̈ܫܢܐ « كراسة الموتى اعني الكهنوتية لدفن الكهنة والشمامسة » ٢٠٢٥ ي ١٧١٤ م .

٢٥ (CCLXXXVI) ܟܬܒܐ ܕܠܗ ܠܟܣܝܩܘܢ ܕܥܒܝܕ ܠܚܣܢ ܒܪ ܒܗܠܘܠ « قاموس حسن بن بهلول » مجلدان ، ٢٠٢٨ ي ، ١٧١٧ م .

٢٦ (CCLIV) ܟܬܒܐ ܕܐܝܬܝܩܘܢ « كتاب الاخلاق » لابن العبري ، ٢٠٣٣ ي ، ١٧٢٢ م .

٢٧ (CCIII) ܡܟܬܒܢܘܬܐ ܕܐܠܟܣܢܕܪܘܣ ܒܪ ܦܝܠܝܦܘܣ ܡܠܟܐ ܕܡܩܕܘܢܝ̈ܐ « تاريخ الاسكندر الكبير » ١٧٤٥ م .

الفصل الخامس

رهبان الدير

الرهبنات في الشرق (١) :

لقد عاشت الرهبنات فى العالم قبل ظهور المسيحية ، وكذلك خلال عصر التعاسة والشقاء الذي حلَّ ببني اسرائيل قبل المسيح . فقد عاشت إحدى شيعهم (*Essenes*) منعزلة عن العالم . ناذرة الحياة الخشنة الطاهرة . وكانت البوذية ايضاً قد انتشرت جماعاتها من الرجال الذين انسحبوا عن معمعة الكفاح العالمي ليتزعموا قيادة الحياة المنعزلة التأملية . ولاشك أنَّ مَن يطلع على حياة بوذا وما احاط بها من الاحوال يرَ ان هذه الفكرة كانت سائدة في بلاد الهند قبل وجوده بأزمان .

وفي مستهل التاريخ المسيحي كان قد نشأ نزعة مشابهة للنزعة البوذية ، من حيث ابتعادها عن المنافسات والاحقاد واعباء الحياة البشرية اليومية ، وخاصةً في مصر (٢) فقد خرج عدد غفير من الرجال والنساء الى الصحراء وهناك عاشوا منعزلين عيشة الصلاة والتأمل ، وقضوا حياتهم فى فقر مدقع في اجواف الجبال بين الصخور والآكام(٣)

---

١) بحث السمعاني ابحاثاً مفصلة (انظر : *Bibl. Or., III, 2, P. DCCCLVII—DCCCLXXV* عن تسمية الرهبان وانواعهم واصلهم ونجاحهم وانتشارهم فيابين النهرين وآثور والبلاد العربية وفارس وكردستان والهند ومصر وسوريا وفلسطين ثم بحث عن اخلاق الرهبان . وعن مار ابراهام الكبير واعادته للحياة الرهبانية وعن ديره في جبل ايزلا (عند نصيبين) ثم الاسكيم الرهباني واصول اخذه الخ . . .

٢) تفاصيل ذلك بكتاب « في صحراء العرب والأديرة الشرقية » تأليف لبيب حبشي وزكي تواضروس . وهو من المؤلفات الأثرية المهمة ، ففيه ابحاث عن الرهبنة والتنسك خارج المسيحية عند الهنود واليونان والمصريين واليهود ثم الرهبنة المسيحية ونظام العزلة التامة والرهبنة عند النساء والرهبنة في العالم الخ . . .

3) *H.G.Wells: The Outline of History* (1930,P.530)

فيمكننا ان نقول ان إحدى المظاهر السائدة التي اشتهرت بها الحياة المسيحية في الشرق هي حياة العزلة والوحدة ، حياة الابتعاد عن السفاسف العالمية والاختلاء في الاماكن القاصية من الارض : فهناك صحاري نيتريا (بمصر) وصحاري طيبة وجروف ومنحدرات جبل آثوس ووادي الاردن واحواض روافده ، واعمدة جبل سمعان لا تزال باقية من تلك المراكز العظيمة لحياة تلك الايام ، ثم ان سلاسل جبال كردستان الغربية وهي التي تمتد بصورة متواصلة من الفرات الى دجلة ما فوق اورفا وماردين وتصدين . هنا تجد المسيحيين قد انشأوا لهم اماكن للحياة الفردية المنعزلة (١) . ومن ثم تجمعوا مثنى وثلاث ، وبعد ان زاد عددهم وتجمهروا حول الصوامع وسّعوا نطاق حياتهم ، فاجتمعوا في اديرة تسير وفق نظام (٢) .

***

وهكذا كانت الرهبنة الملجأ الطبيعي ليس لذوي الافكار والنزعات الدينية فحسب، بل لاولئك المفكرين والمغرمين بالدرس ممن كرهوا مشاق الحياة او نفروا من صروف الدهر غير المؤتمنة .

وصار الدير يُجهّز ويؤثث بجميع اللوازم ليكون ملجأ لمن لا اصحاب له ؛ وملاذاً للمطرودين والمحرومين ، ومطعماً ومأوى للخاملين ، الذين بواسطة هذه المساعدات التي يقدمها لهم الدير قد ربحوا حياتهم . ولهذا فقد كان هنالك عدة محركات تدفع الناس الى الانخراط في الحياة الرهبانية ، فضلاً عن ان الملوك والحكام والاشراف كانوا — لصالح انفسهم — قد منحوا باختيارهم للرهبان اراضي ليؤسسوا عليها مهاجرهم . وقد كانت تلك الاراضي تتألف من بقع متعددة نائية منتثرة في الجبال والغابات مما تغري اولئك الذين رغبوا عن العالم فهربوا من وساوسه ومخاطره (٣) .

***

١] انظر : *H.C.Luke: Mosul and its Minorities* (*P.* 104).

٢) نشأت السيرة الرهبانية فيما بين النهرين على ايدي الأتقياء من الشرقيين (كلدو وآثور ٢ : ٢٥٦ ؛ ويمكنك ان تقع في هذا الجزء من الكتاب (ص٢٥٦ - ٢٧٠) على بحث مهم في مؤسسي الأديرة الذين ظهروا في الكنيسة الكلدانية في الجيل الخامس والسادس والسابع) .

3) *J.H.Robinson: Medieval and Modern Times* (*P.*54)

ان الحياة الرهبانية قديمة جداً في الكنيسة الكلدانية، فيرجع تاريخ نشأتها الى القرن الثالث الميلادي ، ولكن انتشارها كان قد اتسع منذ ابتداء الجيل الرابع . والكتابات الواصلة الينا من هذا القرن مشحونة بذكر الرهبان (١) ومن اهم هذه الآثار الكتابية هي « حياة الراهبين مار كوريا ومار شومونا » و « مقالة مار يعقوب افراهاط الحكيم الفارسي في الرهبان (كتبها سنة ٣٣٧ م) وهي عبارة عن نصائح للرهبان (٢) .

ولو تصفحنا مجلدات « اعمال الشهداء والقديسين » (٣) التي طبعها العلامة بيجان ، نجد عدداً غفيراً ممن استشهد من الرهبان خلال الجيل الرابع .

ولا يسعنا إلا ان نذكر الاعمال الجليلة التي قام بها مار اوجين (٤) ومار ابراهام الكشكري (٥) الملقب بأبي الرهبان واتباعهما في سبيل نشر الحياة الرهبانية وتنظيمها، فازدهرت الرهبنات في مختلف البلدان الشرقية ، وكانت قد بلغت أوج عزها خلال القرنين الخامس والسادس ، واستمرت كذلك مزدهرة خلال القرنين السابع والثامن .

***

وفي القرن السادس كان جبل بيث عذري المشتمل على هذه الاصقاع المرتفعة ، بعيداً عن سكنى الانسان ، فلم يكن ينتابه احد ، ولما كان بوضعيته المعهودة من الانفصال فقد جذب اليه ناسكاً فارسياً يدعى هرمزد ، فأتاه راغباً ، ونقر له في واجهة الصخر صومعة ، وسرعان ما طارت شهرته ، فاجتذبت الكثير من ابرار الناس ، فاخذوا

---

١) ان هذه الكتابات تسميهم باسماء تختلف لفظاً وتتحد معنىً ؛ فهي تدعوهم ܒܢܝ ܩܝܡܐ اي ابناء العهد و ܕܝܪܝܐ رهبان و ܝܚܝܕܝܐ المتوحدين و ܒܬܘܠܐ البتولين ! كما انها لتسمية الراهبات تذكر ܒܢܬ ܩܝܡܐ بنات العهد و ܒܬܘܠܬܐ البتولات .

٢] كلدو وآثور ٢ : ٢٩ ، ٥٠ وكذلك كتاب الأب لابور :

J. Labourt : Le Christianisme dans L'Empire Perse sous La dynastie Sassanide (224-632). 1904, *P.* 28-31.

وايضاً كتاب « الكنيسة الكلدانية في التاريخ» (ص٩-١٠) للأب الفونس جبل شوريز . وهذا الكتاب هو خلاصة حسنة لكتاب لابور .

3] *Acta martyrum et sanctorum* « 7 *vols.*, »

٤) لابور ص ٣٠٢-٣١٥ ، وشوريز ٥٩-٦١ ، وبيجان ٣ : ٣٧٦ ، وكلدو وآثور ٢ : ٣٣-٣٩ .

٥) لابور ص ٣١٥-٣٢١ ، وشوريز ٦١ - ٦٢ ، وكلدو وآثور ٢ : ٢٥٧-٢٥٨ .

يتوافدون اليه زرافات ، ولم يمض ردح طويل من الزمن حتى كنتَ تجدان ذلك الجدار الجبلي القاتم قد اكتظ وازدحم بثات الصوامع كأنها اعشاش منبثة هنا وهناك . فأنى وجّهت نظرك في واجهة الجبل وقع على شيء منها . ثم اخذ الرهبان ينقرون الكنيسة تلو الكنيسة في الصخر ، ولما اتسع كيان هذه الجماعة وتضاعف عددها ، بُنيت الكنائس على حافات الصخر والشرفات التي بجانب الجبل . ولكن الربان هرمزد بقي في صومعته المظلمة الكائنة في قلب الجبل ، عائشاً عيشة التقشف واماتة الذات .

قانون الرهبنة (١) :

نظراً للانتشار العظيم الذي لاقته الحياة الرهبانية ، فقد دعت الضرورة الى سنّ قواعد معينة تسير وفقها هذه الجماعات التي قصدت هجران العالم وسبله الملتوية ليحيوا حياة مقدسة ومنعزلة .

وقد وُضعت القوانين بحكمة وعناية بحيث استوفت جميع حاجيات الحياة الرهبانية واشتملت على كل مطاليبها (٢) ولكنها شديدة ، فهي أشبه ما تكون بقوانين الجندية فعلى كل راهب ان يخضع لها الخضوع التام بلا جدال او مناقشة .

ان هذه القوانين قد شدّدت النكير في منع مَن هو غير اهل للدخول في الحياة

---

١) لابور ص ٣٢١ ـ ٣٢٤ وشوريز ٦٢ ـ ٦٣ .

٢) ان واضع قوانين الرهبنة الشرقية كان القديس ابراهام الكبير [٥٠٣ـ٥٨٨م] وقد طبع العلامة شابو *J. Chabot* هذه القوانين في روما سنة ١٨٩٨ . وكان ابراهام قد رسم للرهبان الاكليل [[illegible] *Tonsure*] وهي دائرة محلوقة في قمة الرأس تجعل ما بقي غير محلوق من الشعر كالاكليل على الرأس (وقد اوضح السمعاني المراسيم والاحتفالات التي كانت تُستعمل سابقاً اثناء جعل شعر الراهب بهذا الشكل *Bibl. Or., III, 2, P. CM-CMVIII* . اما الآن فان هذه المراسيم قد تغيّرت عما كانت عليه قبلاً نظراً للتغيير الحاصل بنتيجة أتباع الرهبنة الهورمزدية لقوانين مار انطونيوس) . كما انه اوجد لهم زيّاً خاصاً يلبسونه . فهو باعماله هذه قد وسّع وعظّم نطاق الحياة الرهبانية في هذه البلاد .

الرهبانية . اما المرشح للقبول في الدير فينبغي ان يقضي فترة من الزمن يكون فيها تحت التجربة ، ويدعى حينئذ محضر الرهبنة او المبتدئ (١) وذلك قبل ان يباح له باقتبال ما هو اهم من ذلك بكثير ونقصد به « النذر النهائي » . واذا ما نذر الشخص البتولية تصبح خدمته الرهبانية اجبارية .

وكان بعد ذلك على الاخوة الرهبان ان ينتخبوا من بينهم رئيساً للدير ، فانتخبوا شخصاً واطلقوا عليه لفظة « الأبا » للدلالة على رئاسة الدير .

وفضلاً عن قيام الرهبان بالصلوات المتكررة والتأملات الروحية فان عليهم ان يقوموا بالاعمال الضرورية لاجل الدير كالطبخ والغسل وزرع المخضرات والحبوب اللازمة، لهذا تجد كل راهب هنالك يؤدي خدمة للدير بلا تذمر مهما كانت حقارتها(٢) وكان عليهم ايضاً ان يتعلموا ويعلموا . اما من كان منهم عاجزاً عن القيام بالاعمال التي تتطلب قوة في الجسم فقد تخصصوا باعمال أخرى كالاستنساخ والتأليف .

النذور الرهبانية :

على الراهب ان يتعهد بان ينذر الطاعة والفقر والعفة : فقد كان عليه إطاعة الرئيس دون تساؤل في جميع الامور التي لا ينجم عن القيام بها اي خطيئة . فاذا أصدر الرئيس امراً وجب الاذعان والطاعة . ثم ان الراهب يكون قد أودع نفسه لفقر دائمي تام . فكل ما يستعمله إن هو إلا من ممتلكات الدير ، ولم يكن ليُسمح له بامتلاك اي شيء مهما كان نوعه ، حتى الكتاب او القلم . وفضلاً عن نذره للطاعة والفقر فقد كان مضطراً لان يتعهد بأ لا يتزوج ، ولم يكن القصد من عدم الزواج هو ان يكون الانسان طاهراً فحسب ، وانما النظام الرهباني لا يمكن سيره وانتظامه ما لم يكن الرهبان محافظين على النزعة الانفرادية (٣) وبجانب هذه القيود ، فانه مطلوب من الرهبان ان يعيشوا عيشة

١] ان المدة التي يقضيها المرء في طور الابتداء لدى الرهبنة الهرمزدية هي خمس سنوات

٢) عندما زار ريج الدير (في كتابه **_Narrative etc. II, P. 92_**) وجد ان الرهبان يقومون بجميع الأعمال : فهناك النساجون والخياطون والحدادون والنجارون والبناؤون ! بحيث ان جميع حاجيات الدير يمكن ان تسد من قبل افراد الدير نفسه . ولا شك ان حاجياتهم محدودة وضئيلة .

٣) كانت الاصول عند النساطرة — كما صرح بذلك عبديشوع الصوباوي — تبيح

معتدلة طبيعية دون ان يفرطوا في هدم صحتهم وخسرانها ، كما فعل ذلك كثير من الرهبان الاولين ، وذلك بتعذيب اجسامهم تخلصاً من هذا العالم الفاني وتقرباً من خلاص انفسهم في العالم العتيد .

الرهبنة الهرمزدية [1] :

تتكوّن الرهبنة الهرمزدية الانطونية من المبتدئين (وهؤلاء ينقسمون الى رهبان بسطاء ومبتدئين) والرهبان والكهنة . اما الدير الرئيسي لهذه الرهبنة في الوقت الحاضر فهو دير السيدة ، حيث فيه مقر الرئاسة العامة ومنه يتخرج الرهبان الناذرون نذورهم المؤبدة .

إن للطائفة الكلدانية في الوقت الحاضر ثلاثة اديرة مأهولة بالرهبان وهي : دير السيدة ودير الربان هرمزد ودير مار كيوركيس . ولقد كان عدد الرهبان في الازمان السابقة اضعاف عددهم اليوم .

اما لبسهم فقماش خشن من الشعر الاسود شتاء وصيفاً ، ولكل راهب منهم سبحة يستخدمها في الصلاة .

وطعامهم بسيط جداً ، فقد شاهدتهم مراراً يأكلون الخبز والبقول وبعض المخضرات ومن عاداتهم المستعملة في الطعام ان واحداً منهم يقرأ لهم وهم يأكلون . اما ما يقرأونه على مائدة الطعام فيشتمل على سير شهداء المشرق وكتاب اباطيل العالم ورياضات مار

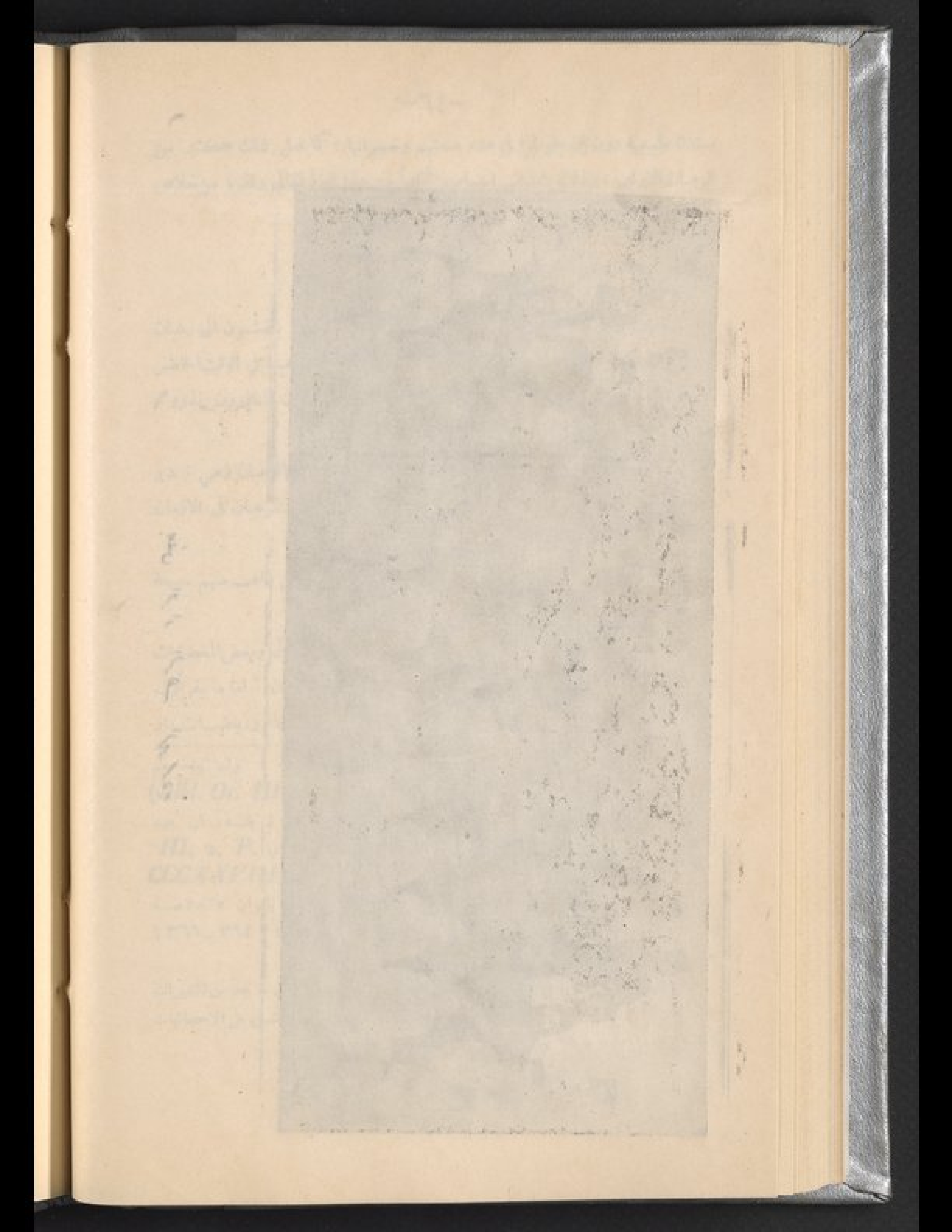
للرهبان بعد خروجهم على الرهبنة ان يتزوجوا كما للانجيليين والكهنة ، وقد يُباح لهم بالزواج حتى للمرة السابعة (السمعاني *Bibl. Or. III, 2, P. CCCXXVII* ولكن مار ابراهام الكبير اجتهد ان يذم زواج الرهبان ، ومع انه لم يقدر ان يُعيد الحياة الرهبانية في كل بلاد آثور فانه اجتهد ان يفعل ذلك (السمعاني *III, 2, P. CCCXXVIII*).

[1] راجع عن ذلك بحثاً نفيساً لحضرة الأبا يوسف داديشوع نجار بعنوان « خلاصة في رجال الرهبنة الهرمزدية الأنطونية » [النجم ٤ : ٣٢٥ ـ ٣٢٧ ، ٣٦٤ ـ ٣٦٦ ؛ ٥ : ١٧٦ ـ ١٧٩] .

وقد طلبتُ من الرئيس الحالي ـ الأبا حنا هرمزد ـ ان يكتب لي ما جدّ من التغيرات بعد كتابة البحث المذكور اعلاه فتفضّل حضرته وبعث اليّ بجداول تشتمل على الاحصائيات الأخيرة وقد أدرجتُ خلاصتها في اخير هذا الفصل .



بعض افراد الرهبنة الهرمزدية



اغناطيوس وكتب أخرى تقوية مفيدة ، كما انه في غرة كل شهر يُقرأ لهم قانون الرهبنة.

واكثر الرهبان غير متعلم ، ولكن جميعهم اهل تقوى وورع ، وصلاتهم في الكنيسة هي مثال العبادة الصادقة والقلب الخاشع ، ومن صفاتهم محبة الضيف . ولاشك ان اكبر دليل على هذا هو دفتر الزوار الذي يشهد لهم بذلك فيه مئات الزائرين .

وللرهبان مجلس خاص يحكم باكثرية الآراء وهو ينتخب الرئيس ، وهناك اربعة من الرهبان يساعدون الرئيس في بعض الامور المتعلقة بإدارة الدير وتمشية مصالحه ويُدعون المديرين (١) وينتخبهم مجلس الرهبان العام المتألف من الافراد الذين لهم اصوات . ولا يحق منهم للتصويت إلا من ترأس احد الاديرة في الماضي اوأشغل منصب ادارة المديرين .

حياة الراهب اليومية :

حياة الراهب اليومية هنا تكاد تكون متشابهة ، فهي تسير على وتيرة واحدة طول السنة . ويقوم الراهب فى كل يوم بواجبات دينية ، على ان لرؤساء الرهبنة الصلاحية عند اقتضاء الحاجة في اعفائه من بعض الواجبات .

وتنحصر اعمال الراهب اليومية بالصلاة المجتمعة والمنفردة ثم بالاشتغال (تربية النحل ادارة الكروم ، تجهيز الطعام ، مراقبة الكنيسة ، قبول الزوار الخ ....) . وبعد تناول العشاء يجتمعون فتجري هناك مسارات واحاديث ضمن نطاق محدود ، وينتهي كل شيء بناقوس السكوت في الساعة الثانية بعد غروب الشمس ، حيث يحين ميعاد النوم .. ويستيقظ الراهب عند قرع ناقوس الصباح (ساعة ونصف في الصيف ، وساعتان في الشتاء قبل شروق الشمس) .

احصائيات عن الرهبنة الهرمزدية :

ان مجموع منتسبي الرهبنة الهرمزدية في الوقت الحاضر هم كما يلي :

I	العدد	النوع
	٥٠	الرهبان في جميع الاديرة
	٢٠	الكهنة

١) ܡܕܒܪ̈ܢܐ .

١٦ المرسلون

٢٦ المبتدئون

II اما عدد المقيمين منهم ضمن جدران الاديرة فكما يلي :

العدد	الدير
٨	دير الربان هرمزد
٣٠	« السيدة
٥	« مار كيوركيس

III اما الذين هم خارج جدران الاديرة الثلاثة فيقومون بمهام الرهبنة بصفة مرسلين من قبل الدير . وفيما يلي سنذكر عدد الذين داخل العراق :

	المكان	العدد
١ـ ابرشية بابل	بغداد	٢
	العقر	١
	باقوفا	١
	بهنداوا	١
٢ـ ابرشية كركوك	السليمانية	٢
	شقلاوة	١
٣ـ ابرشية زاخو	زاخو	١
	برسني	١
٤ـ ابرشية العمادية	تلا	١
	ميزي	١
	بيناثان	١

IV اما عدد المرسلين خارج العراق فكما يلي :

المكان	العدد
رومية	١
ابرشية سنا (في ايران)	١
ديرك (في سوريا)	١





صورة الربان هرمزد (نقلا عن صورة محفوظة في الدير)

الفصل السادس

حياة الربان هرمزد

قبل ان نسرد شيئاً من حياة هذا البار ، نود ان نذكر للقاريء الابحاث التي كُتبت عنه سابقاً ، والتي أنارت لنا السبيل في معرفة ادوار حياته . فقد كُتبت سيرته من قبل عدة اشخاص :

I : إذ كتبها شمعون الراهب تلميذ مار يوصاداق الكبير المعاصر للربان هرمزد (ومن هذه السيرة نسخة خطية بمكتبة دير السيدة – فوستي CXCVI ، وهي حديثة العهد ؛ نُسخت عام ١٨٦٦ م) وقد عُني العلامة الانكليزي بدج (*Sir E.A. Wallis Budge*) بنشرها مع ترجمة انكليزية وشروح هامة (ومعها سيرة الربان برعيتا الذي سيأتي ذكره) بعنوان :

The Histories of Rabban Hormizd the Persian, and the Rabban Bar-'Idta. (*London*, 1902, 3 *vols.*)

وعلى هذه السيرة كان جل اعتمادنا في كتابة هذا الفصل .

II : وقام راهب آخر من هذا الدير يُدعى سرجيوس ووضع حياة الربان هرمزد في قصيدة شعرية مطوّلة ، وذلك في القرن العاشر (وحسبما يرى العلامة دوفال في كتابه *La Litterature Syriaque*, 1900, *P.* 29 انه من اهل القرن السابع عشر) . والقصيدة من ذات الاثني عشر مقطعاً على النمط المعكوف (*Acrostishe*) وهي مقسومة الى اثنين وعشرين نشيداً طبقاً لعدد الحروف الابجدية الآرامية عدا المطلع والخاتمة . وقد نشرها ايضاً المستشرق بدج في كتابه :

The Life of Rabban Hormizd (*Berlin*, 1894).

ومن هذه القصيدة نسخة خطية في مكتبة دير السيدة (فوستي CXCVII) .

III : وهناك قصيدة أُخرى نظمها السيد عمانوئيل اسقف بيث جرماي (* ١٠٨٠ م)

في مدح الربان هرمزد . وقد ُعني بنشرها الاب القرداحي :

[*Liber thesauri de arte poetica Syrorum, Rome*, 1875, P. 142].

وقد ترجمها هوفان *Hoffmann* الى الالمانية :

(*Auzüge aus syr. Akten pers. Martyrer*, P. 19).

١٧: وقد وضع آدم عقرايا (سيأتي ذكره) قصيدة في مـدح الربان هرمزد وتأسيس ديره . وقد نشرها له الاب القرداحي (*l. c.*, P. 102) .

ولو دققنا هذه المؤلفات عن الربان هرمزد ، بنظر المـؤرخ المحص لظهرت لنا مواطن الضعف فيها في بعض المواقف ، ولا غرابة في ذلك طالما نجد في الكتب التاريخية القديمة كثيراً من الارتباك وعدم التنسيق وسرد الامور كما هي دون التأكد من صحتها وعلى كل.فان قيمة هذه الكتب من الوجهة التاريخية تنحصر في انها تعطينا وصفـاً مسهباً عن تأسيس الدير ، وتصوّر لنا بوضوح عادات المسيحيـة النسطورية في الجيـل السابع وما يليه من الاجيال ، وتثبت لنا على ان تصديق السحريات كان متفشياً بين كل النساطرة واليعاقبة وقتئذ .

***

نشأة الربان هرمزد :

ولد الربان هرمزد في بيت لاباط من مقاطعة الاهواز في بلاد الفرس ، وذلك إما في النصف الثاني من القرن السادس او النصف الاول من القرن السابع للميلاد (١) وقد كان والداه – يوسف وتقلا – مسيحيَين مستقيمَي الايمان (على المذهب النسطوري) وعلى جانب عظيم من التقوى ، وذوي ثروة طائلة (٢) .

---

١) يذكر بادجر (في كتابه *(The Nestorians and their rituals*, I, P. 102 ان الربان هرمزد قد سبق – حسب التقليد التاريخي – مجمع افسس (٤٣١ م) . ولا يخفى الخطأ الظاهر في هذا القول . . .

٢) تروي بعض الأساطير ان الربان هرمزد كان ابناً لأحد ملوك الفرس (انظر : *Rich : Narrative of a Residence in Koordistan and Nineveh*, II, P. 94).

ولما بلغ هرمزد الثانية عشرة من عمره، ادخله ابواه المدرسة فمكث فيها ست سنوات تلقن في خلالها علوم عصره، وتمكن ان يتلو غيباً المزامير والعهد الجديد من الكتاب المقدس.

وعندما ناهز العشرين من عمره، تحركت فيه الدوافع الى الانقطاع عن العالم والابتعاد عن رذائله وسفاسفه، ولطالما كان يسمع ابواه منه تلك العبارة التي كثر ترديدها على لسانه وهي « اني سأكون راهباً » . على هذا المبدأ اراد ان يسير، فكان يفكر به ليل نهار وينتظر دنو تلك الفرصة التي ستؤهله للدخول في الحياة الرهبانية.

الربان هرمزد في دير برعيتا :

ثم صمم هرمزد الشاب ان يقوم بزيارة للاراضي المقدسة، ومنها ينتقل الى برية الصعيد ليسكن مع الآباء القديسين المتعبدين لله هناك.

واخيراً دخلت فكرة الرحيل في طور التحقيق. فانه ترك ابويه اختياراً منه وعلى مضض منها، وبعد ان قطع من طريقه الى الاراضي المقدسة مسيرة سبعة وثلاثين يوماً، وصل مدينة حالا (١) وصادف هناك في كنيستها ثلاثة رهبان من دير الربان برعيتا(٢)

ثم اعتنق الديانة المسيحية، ودخل في الرتبة الكهنوتية حتى صار اسقفاً، واخيرًا استشهد. غير ان هذه الرواية لا يؤخذ بصحتها، لأن التاريخ الذي جمع بعدئذٍ عن الربان هرمزد لا يدعمها بتاتاً. واني اعتقد ان الذين يذهبون هذا الرأي انما يقصدون هرمزد الشهيد (راجع كلدو وآثور ٢:١١٥) فاختلط عليهم الأمر، وظنوا ان الربان هرمزد انما هو هذا الآخر..

١) حالا هي اشهر مدينة في رادان الواقعة بين نهر رادان وديالى (كلدو وآثور ٢: ܨܐ، ولايور ١٦٣) وقد ذكر روبنس دوفال *Rubens Duval* في كتابه: *La Litterature Syriaque* (1900, *P.*223) ان مار خوداوي هو مؤسس دير بيت حالا القريب من الموصل.

٢) ܒܪ ܥܕܬܐ، (وبرعيتا معناها ابن الكنيسة)، هو تلميذ مار ابراهام الكبير، واصله من الرصافة على الفرات، وهناك روايات تدعي انه وُلد في ارض نينوى. ثم درس في مدرسة نصيبين، ولزم ابراهام الكشكري وترهّب معه في ايزلا، ثم اتى الى ارض نينوى وبنى ديرًا عظيماً شرقي كرمليس على مسيرة ساعتين منها تقريباً وتُرى الى هذا اليوم انقاض هذا الدير. وقد ظنّ العلامة بدج ان دير برعيتا هو في راغا (انظر مقدمة طبعته لسيرة الربان هرمزد والربان برعيتا) ولكن الأصح هوهذا

وهم الابا يعقوب من كفر زمار (١) ويوحنا الشمراحي ܝܘܚܢܢ ܫܡܪܚܝܐ والراهب حنانيشوع الحديابي (٢) . ولما ادرك هؤلاء الثلاثة ما لهذا الشاب من مزايا وفضائل ، اشاروا عليه ان يرافقهم الى ديرهم وينتسب الى رهبانيتهم ، فأجاب الى سؤلهم بمزيد الارتياح . وهكذا سافر الجميع من هناك ميممين شطر دير برعيتا . فقُبل هرمزد بين زمرة الرهبان ، الذين كان يربو عددهم وقتئذٍ على المائتين والسبعين راهباً .

فانخرط بين الرهبان المبتدئين ، واصبح مثالاً في التدين والتنسك . ولم تمض عليه في حياة الابتداء إلا اشهر قلائل حتى قرّبه الاخوة الى الرئيس العام ، وكان وقتئذ الربان مار سبريشوع (٣) : فهذا بعد ان اختبر تجلد الربان هرمزد ورغبته الاكيدة في الحياة النسكية اثناء تتلمذه ، منحه الاسكيم الرهباني ، فصار يطبق الانظمة الرهبانية بحذافيرها وعاش عيشة البساطة والزهد ، ودام على هذه الحياة القاسية سبع سنين ، كان خلالها مثالاً صالحاً يقتدي به الرهبان ويحذون حذوه ، واصبح بين هذا الجمع الغفير كالنجم المتألق ، حيث اخذ نوره يسطع على جميع رفاقه نظراً لما امتاز به من صلاح وتقوى وما ازدان به من مواهب روحية ، حتى صاروا يلقبونه بطبيب المبتدئين : (ܐܣܝܐ ܕܡܫܪܝܢܐ) .

وكان سلفانوس اسقف قردو (٤) قد زار رئيس دير برعيتا لاشغال هامة، فاكتشف

الذي في نينوى وإنْ كان في مراغا دير بهذا الاسم فلا يعود الى الربان برعيتا المبحوث عنه هنا .

وتوفي برعيتا سنة ٦٢١ م . وهناك نسخة خطية من سيرته محفوظة في مكتبة دير السيدة (انظر قائمة فوستي رقم CXCII) .

١) جاء في معجم البلدان ان كفر زمار : « قرية من قرى الموصل . . . وقال نصر : كفر زمار ناحية واسعة من اعمال قردي وبازبدا بينها وبين برقعيد اربعة فراسخ اوخمسة ».

٢) كانت حدياب قبل التاريخ الميلادي تمتد من الزاب الكبير الى الزاب الصغير ومن دجلة الى اذربيجان . وبعد انتشار المسيحية اتسعت حتى اشتملت على اذربيجان وعلى بقعة نينوى كلها [راجع تاريخ الموصل ٢ : ٧ - ١٤ ؛ كلدو وآثور ٢ : ܕܓ وما بعدها ، ففيها تفاصيل ضافية عن هذه البقعة] .

٣] كان سبريشوع من بلد نينوى وقد درس في اربيل وشيّد ديرًا في بيث نوهدرا عُرف بعوسرا دعابا شبيرا اي دير الغابة الجميلة (انظر : توما المرجي ، ص٦ ، الغة ص ٢٥) .

٤] قردو (وتُسمّى ايضاً باقردا او قردي) هي القطعة المعروفة اليوم باسم «بُهتان» ويحيطها شمالاً وغرباً نهر بُهتان وهو دجلة الشرقي وجنوباً دجلة وبيث زبداي .

اثناء زيارته هذه راهباً وهو الربان هرمزد البالغ من العمر وقتئذ سبعاً وعشرين عاماً ، فوجد ان ذلك الرجل اليافع متقدماً في الحياة الروحية ، فنصحه ان يهجر هـذا الدير ويؤسس لنفسه صومعة خاصة تناسب الحياة الانفرادية النسكية .

وهكذا كان ، فان الرئيس العام – مار سبريشوع – لما ان علم بالامر دعاه وقال له : ها قد مضى عليك سبع سنين وانت تواصل جهودك النسكية ، فعليك الآن ان تنفرد في صومعة وحدك وتعيش عيشة الاخوة الكاملين .

ومكث الربان هرمزد في وبالقرب من دير الربان برعيتا تسعاً وثلاثـين سنةً ، قضاها في جهود مجيدة وفضائل تامة .

***

الربان هرمزد في دير بيت عابي :

وقد كان يعيش قريباً منه في ذلك الدير راهب جليل من دير بيث عابي [١] يُدعى

---

[١] اسس هذا الدير يعقوب اللاشومي في اواخر المئة السادسة ، وذلك في حياة الجاثليق ايشوعياب الأرزني (٥٨٢ – ٥٩٥) في ارض المرج قريباً من قرية بامازي في محل يُقال له بيث عابي . وكان يعقوب من تلاميذ مار ابراهام الكبير . وقد ذكر الطيب الذكر السيد أدي شير ان ليعقوب مؤلفات لم يصل الينا منها سوى تسبحة كانت محفوظة في المكتبة السعردية [قبل نكبتها طبعاً ...] واشتهر هذا الدير وعظم شأنه بعلمائه ورجاله الأفاضل وقد دوّن توما المرجي اسقف المرج « كتاب الرؤساء ܟܬܒܐ ܕܪܝܫܢܐ » [فوستي رقم CXC] وهو تاريخ لهذا الدير ، اتى فيه على ذكر حوادثه الشهيرة ونوابغ رجاله وقد طبعه بيجان سنة ١٩٠١ ونشره ايضاً بدج سنة ١٨٩٣ ضمن مجلّدَين بعنوان :

The Book of Governors, the historia monastica of Thomas bishop of Marga A. D. 480.

يشتمل المجلّد الأول على مقدمة انكليزية مهمة مع النص الكلداني ، والثاني على ترجمة انكليزية للكتاب . وقد ادخل عليه شروحاً وايضاحات كثيرة . وفي هـذا الكتاب خلاصة لأهم ما يجب معرفته عن حياة الربان هرمزد [وذلك في المجلّـد الأول ، ص ١٥٧ – ١٥٨] .

وظلّ هذا الدير حتى غارات المغول حوالي سنة ١٤٠١ التي قضت عليه وعلى غيره من الأديرة التي كانت زاهرة بعلومها وانظمتها (راجع تاريخ الموصل للأب سليمان صائغ ٢ :

الربان ابراهام . فاتفقا كلاهما على الانتقال معاً الى محل آخر . فخرجا من هناك وحطأ رحالها في دير بيث عابي ومكثا فيه ثلاثة اشهر . ثم تقابل الربان هرمزد ورفيقه (الذي كان يُعتبر كتلميذ له) مع الراهب يوصاداق . فقال يوصاداق للحاضرين (وكانوا اربعة وهم يوحنا الفارسي، ويشوع سوران، والأبا (١) ادونا، والراهب شمعون تلميذ يوصاداق) : ايها الاخوة، اظن ان الراهب هرمزد وتلميذه سيكونان رفيقين لنا في الانتقال من هنا الى بقعة اكثر ملاءمة لما نبتغيه من الروح الرهبانية . فوقعت هذه الكلمة من الربان هرمزد موقع القبول والاستحسان .

***

الربان هرمزد في دير الرأس :

وهكذا قام هؤلاء السبعة سويةً واتوا وسكنوا في « دير الابا ابراهيم » الذي كان يُدعى « دير الرأس » (٢) وكان هذا الدير موافقاً لحياة الخلوة التي كانوا يتشوقون اليها منذ زمن مديد . فصاروا يتعبدون هناك للرب بالعمل الصالح ويقومون بممارسة الحياة الدينية بكل ما فيها من خشونة ومشاق، وبهذا تمكن الربان هرمزد من ان يرتاض على إماتة نفسه بالتقشف والاصوام والصلوات والسهر، كأعظم ما اشتهر به النساك في اعمالهم النسكية في التاريخ، فذاع صيته ذيوعاً عظيماً وتضاعفت عجائبه .

---

٢٢ ؛ النجم ١ : ٥١٧ - ٥١٨ ؛ كلدو وآثور ٢ : ٢٦١] . ولا تزال آثار هذا الدير وانقاضه باقية الى اليوم وراء جبل العقر على مسافة ساعات قليلة ، إذ هناك توجد قرية تُدعى « خُربة » ، وحسب التقليد السائد بين اهالي هذه القرية ان هذه البقايا انما هي الدير بيث عابي . ولا يزال فيها للآن صهاريج خربة وبعض الأماكن المحفورة مما يدل على وجود بقعة عامرة فيها سابقاً .

١) يُقال للكاهن القانوني ، اي العائش ضمن القانون الرهباني في اللغة الكلدانية « ابا » تمييزاً له عن الكاهن الغير القانوني اي العائش في العالم فيُقال له « الأب » .

٢) دير ريشا **ܪܝܫܐ** واقع قريباً من قرية رَبّي في انحاء العمادية من مرج الموصل . وكان مؤسسه اسطيفان الرجي وهناك رواية تزعم بان هذا الدير كان موجوداً قبله .

ويروي لنا كَتَبَة سيرته انه عندما كان يريد ان يريح بدنه كان يستند على احدى اعمدة صومعته واقفاً فيقضي سويعات قلائل للاستراحة !... وهكذا فقد مرّت عليه فترات عديدة كان يجهد فيها جسمه ونفسه في تنظيم صومعته والتعبد لله والتضرع اليه بالانكسار والدموع ، وهذا الطراز من الحياة أدّى به الى ان يفهم الاشياء القريبة والبعيدة ويطرد الشياطين والارواح التي تلاحقه دائماً وتأتيه باشكال واوضاع شتى ، الى غير ذلك من الحكايات والاساطير التي ضربنا عنها صفحاً ، والتي لا تزال تدور على ألسنة الكثير من سكان القرى المجاورة لديره الحالي ...

وكان اهل مركا (ܡܪܓܐ : اي مرج الموصل الذي كان يشتمل على قضائي العقر والزيبار الحاليين) يعتنون بهذه الزمرة ويجمعون لهم من حين لآخر شيئاً مما يحتاجونه من غذاء ...

***

واقاموا هناك بين ظهراني دير الربان ابراهام (دير ريشا) سبع سنين ، ثم اضطروا ان يتركوه ويذهبوا الى محل آخر، نظراً لان ينبوع الماء الغزير الذي كان يمدّهم بالمياه قد نضب او كاد ينضب ، ولم يعد في الامكان لمياهه ان تسد احتياجاتهم جميعاً ، فدبروا وسيلة للخلاص من هذا المأزق . فقال الربان هرمزد : يجب على قسم منا ان ينتقل من هنا ليسدّ هذا الماء الشحيح حاجة مَن سيبقى هنا منا . فأجاب الربان يوصاداق : هكذا ليكن ، ولنذهب انا والابا ادونا والربان شمعرن الى جبل قردو ، والربان هرمزد مع الابا ابراهيم يصعدان الى جبل بيث عذري ، والربان يشوع سوران ويوحنا الفارسي يمكثان هنا (١)

لينطلق كل منا ايها الاخوة الى مكانه وليحط رحاله هناك . فسار كل منهم الى

١) يظهر ان يشوع سوران ويوحنا الفارسي قد انتقلا اخيرًا من هذه البقعة وأسّسا لهما ديرًا في المكان التي يشغلها الآن مقام الشيخ عدي اليزيدية (وللتوسّع في هذه القضية راجع تاريخ الموصل ١ : ٢٩٨ - ٣٠٢ ؛ وعَبَدَة الشيطان في العراق للاستاذ عبد الرزاق الحسني ، ١٩٣١ ، ص ٢٢ - ٢٥) .

هدفه المعين واستقرّ بها (١) .

***

الربان هرمزد في جبل بيث عذري :

ولما وصل الربان هرمزد مع الابا ابراهيم الى جبل بيث عذري قريباً من القوش ارتقياه فوجدا هناك كهفاً وامامه ينبوع ماء يتحدر في الوادي .

ولكن الابا ابراهيم لم يبقَ مع الربان هرمزد إلا ثلاثة ايام فقط ، حيث تخلى عن رفيقه واتى قريباً من نينوى واقام له ديراً على اسمه (قرب باطناية ، انظر ص ٤-٥ من هذا الكتاب) فذاع صيته في كل تلك الكورة .

اما الربان هرمزد ، فقد انتشر اريج قداسته في تلك البقعة فقدم اليه الناس من مختلف الاماكن والانحاء تيمناً برؤيته وطلباً لبركته وتضرعاً اليه ان يلمسهم فيشفيهم . ومن بين هؤلاء اهالي القوش ، فانهم لما علموا بحلول الربان هرمزد قريباً منهم فرحوا بذلك وهرعوا للتبرك منه ، فمنحهم بركته واطلقهم بسلام .

وكان على مسيرة ثلاثة فراسخ من الدير قرية اسمها باقوفا (٢) فلما سمع اهلوها بمجيء الربان هرمزد الى جبل بيث عذري حملوا مرضاهم وقصدوا ديره املاً في الشفاء . وكان برفقتهم رجل مدنف لم يعتم حتى توفي في الطريق ، وإذ اراد بعض القاصدين إرجاعه الى قريته ، لكن اهله مانعوا في إرجاعه ، وحملوه الى القديس . فشرع في الصلوات والتضرعات الحارة طالباً إعادة الحياة الى الميت ، فاستجاب الله طلبته ، وأعاد للميت انفاسه ، فأفلت هذا من بين براثن الموت ...

فذاع صيت الربان هرمزد في كثير من الانحاء ، حتى صار يحمل الناس اليه الموتى والمجانين والمقعدين والعميان والبرص وغيرهم ، فكان يشفي ما بهم من علل وآفات .

١] علمنا ان يشوع سوران ويوحنا الفارسي قد اسّسا ديرهما في مقر الشيخ عدي الحالي ، اما يوصاداق فقد شيد له ديراً في قردو عُرف باسمه [كتاب العفة ، ص ٩١] .

٢) باقوفا (ܒܝܬ ܩܘܦܐ - بيت القرود) قرية مسيحية ، سكانها في الوقت الحاضر نحو (٥٠٠) نسمة ، ويعتمدون في معيشتهم على الزراعة ، ولغتهم السورث لكنهم يحسنون العربية .

وقد صادف وقتئذ ان مرض شيبين بن عقبة (١) حاكم الموصل ، ولم يعد بمقدور الاطباء ابراءه ، فأشاروا عليه ان يحمله الى الراهب هرمزد فانه لسوف يشفيه . وكان عقبة قد سمع بامر هذا الراهب وما يتأتى على يده من الاعمال العجيبة ، فذهب بابنه الى جبل بيث عذري مقر الربان هرمزد ، ولدى وصوله الى القوش مات الصبي فتألم والده من اجله الشيء الكثير ، فاجتمع بين يديه اهالي القوش واقنعوه ان يذهب بابنه الى الربان هرمزد فقد يتمكن من إعادة الحياة اليه كما فعل ذلك مع البعض من قبله . وكانت النتيجة كما توقعوا ، فان الربان هرمزد أحيى الميت وصار فرح عظيم لجميع المسلمين هناك والالقوشيين وشكروا الرب على نعمته هذه بواسطة القديس هرمزد ، فأصبح للربان هرمزد مكانة رفيعة في عيني الامير ، واصبح الامير من اكبر المساعدين والمعاضدين للربان هرمزد .

ونظراً للتقدم الروحي الباهر الذي حازه الربان هرمزد ، فقد لقي حسداً شديداً من قبل غيره من المسيحيين من ذوي النفوس الصغيرة ، حتى انه - بناء على ما جاء في كتب سيرته - أكثر تمنى الموت لنفسه تخلصاً من تلك المنافسات والاحقاد .

لقد كان في الشمال الغربي وعلى مسيرة ساعة من الدير ، دير آخر يسكنه رهبان من

١] والأصح ان يسمى عتبة (بن فرقد) . لكننا لا نعلم الشيء الكثير عن عتبة هذا انما نعرف ان عمر بن الخطاب كان قد عيّنه حاكماً على الموصل عام ٢٠هـ (٦٤٠ م) [ابن الأثير ١٣ ص١٩] ، فلما أتاها استولى على نينوى وأوغل في الفتوح حتى استولى على ما يجاورها من البقاع الأخرى كزاخو ودهوك والعقر والزيبار وقردي وجزيرة ابن عمر والسليمانية وجميع معاقل الأكراد وغيرها من الأمكنة .

ومما يهمنا ذكره عنه في هذا الصدد هو ما ورد في قصيدة باللغة الكلدانية في تاريخ الأديرة الشهيرة ، كتبها ايشوعياب الأربلي المعروف بابن المقدم (اواسط القرن الخامس عشر الميلادي) : ان عَتَبَة امير الموصل شيّد للربان هرمزد ديراً بقرب صومعته في الجبل واوقف له ارحاء واملاكاً واراضي واسعة لتقوم بسدّ احتياجاته (ومن هذه القصيدة نسخة خطية بمكتبة دير السيدة ، فوستي CLXXCI) .

وقد أيد كتبة العرب من المؤرخين تعيين عتبة بن فرقد في الموصل ، فذكر ابن خلدون في تاريخه ان فاتح الموصل ونينوى كان عتبة بن فرقد سنة ٢٠ هـ . [اي في العهد الذي عمّر خلاله الربان هرمزد ديره في جبل بيث عذري] وقد ذكر ذلك ايضاً عمر بن متى الطيرهاني [كتاب الجدل ، ص ٥٥] .

اليعاقبة ، ويعرف بدير بسقين (١) وكانت تلك الزمرة حاملة لواء الحسد له ، فانها لما رأت الربان هرمزد وما هو عليه من فضائل وتقوى لم تألُ جهداً في بذل مسعاها للايقاع به والتنكيل برهبانه . فكانوا يعقدون دوماً في سرائرهم نيات السوء لمحق مؤسسته ، وصاروا يبحثون في مختلف الطرق ويتشبثون بشتى الوسائل ، حتى انهم وشوا به لدى حكام الموصل ، ووصلت بهم سوء النية الى ان يرشوا حاكم الموصل (عقبة) وحاولوا كثيراً ان يوغروا صدره عليه للنَيل منه ، واعطوا له وزنتين من الفضة . ولكن عبثاً كانت تلك المحاولات ، فانها لم تكن لتقوى على محو هذه الدعامة المكينة ، فباءوا

---

١) ان انقاض هذا الدير القديم (ܦܣܩܝܢ) لا تزال باقية الى اليوم فوق قمة الجبل على مسافة قصيرة من بسقين الحالية . فالمتفرج اليوم يمكنه ان يجد بعض الصهاريج المتردِمة والجدران المتداعية وكتل الأحجار المبعثرة هنا وهناك . ولا شك بان بسقين الحالية كانت وقتئذٍ مزرعة يعود امرها الى هذا الدير . وقد زرتُ هذا الموقع مرارًا وكانت الأخيرة في ٨-٥-١٩٣٢ فكتبتُ عنها وقتئذٍ ما يلي :

« قمنا من القوش في الصباح باكرًا ، وطريق الصعود الى الجبل يبدأ من « وادي كبة مايا ܟܐܦ ܡܝܐ » ويستمر حتى قمة الجبل . وهناك يسير الانسان فوق الجبل على ارض تكاد تكون مستوية ، لكنها غير مزروعة لوجود الأحجار الكثيرة فيها . ثم يبدأ بالإنحدار رويدًا الى السفح الشمالي من جبل القوش ، ويتجه نحو الشمال الشرقي حتى يصل بسقين في طريق متعرجة .

« وبسقين هذه ، بستان ذات موقع جميل ، وتجمع كثيرًا من المناظر الطبيعية ، فهي واقعة في وادٍ بديع تحيط به الجبال من جميع جهاته تقريباً ، ويُتاح للمرء ان يُبصر عن بُعد عند الجهة الشمالية جبل دهوك . وفي هذه البستان ينبوع ماء عذب وهو يجري فيسقي البستان . وتُزرع فيها الخضرات وفيها كثير من الأشجار المثمرة . وقد شُيد عند هذه البستان قبل نصف قرن غرفة من قطع الصخر الضخمة يدعونها هناك « القصر » على ان سقفها قد تهدّم ، ويأوى اليها اصحابها حين الحاجة .

« وتعود بسقين بالاشتراك في الوقت الحاضر الى ثلاث عائلات شهيرة في القوش وهي بيت مدالو وبيت يوحانا وبيت ككميخا .

« اما كلمة بسقين فهي لاتينية الأصل [*Piscina*] ومعناها السمك دلالةً على وجود الماء فيها .

« وعلى مسيرة دقائق قليلة منها ، يوجد نبع صغير عذب جدًا يُدعى « الخاتونية » (انظر صفحة ٢٠ من هذا الكتاب) وهو اعلى مستوىً من ماء بسقين » . اه .

جميعاً بالفشل واندحروا اخيراً اندحار الباطل المرتعش إزاء الحق الرصين ، وهل نتيجة الحسود إلا ان يُبيد نفسه بنفسه ؟ ! . . .

ولما رأى طلاب مدرسة مار ايث آلاها (١) ازدهار الحياة الرهبانية تحت لواء الربان هرمزد ، جاء خمسون واحداً منهم ليعتزلوا الحياة بمعيته ، وشرعوا ببناء كنيسة . ولما سمع بالخبر سكان البلاد المجاورة لهم عاضدوهم بكل ما أوتوه من سعة اليد في سبيل إقامة الدير وكنيسته .

ان الرجل الصالح (خوداوي شوبجي) من قرية باقوفا ، قد اكتتب من مقتناه سبع وزنات من الفضة مساعدة لبناء الدير . ولما سمع عقبة بن فرقد بتشييد الدير ، منحه إجازة لابتنائه في ذلك الغور الحريز ، واكتتب له بثلاث وزنات من الفضة ارسلها مع ابنه شبيب . ثم أتتهم مساعدات جمة من كثير من المسلمين المعترفين بجميل صُنع الربان هرمزد تجاههم ، فأقيم الدير وتزين بكل ما يلزم من الامور الآئلة الى خدمة الرهبنة وسكنى الاخوة ، وأُنجز كل ذلك في عشرين شهراً .

ذكر عمر بن متى في كتابه (المجدل ، ص ٥٥ - طبعة روما) وتاريخ الموصل وذخيرة الاذهان وكلدو وآثور وغيرها ، ان هذا الدير تأسس على عهد البطريرك ايشوعياب الجدلي (٦٢٨-٦٤٧) الذي عاصر صاحب الشريعة الاسلامية وابا بكر وعمر بن الخطاب (٢) . ولكن سيرته (للراهب شمعون) تذكر بان الربان هرمزد أسس ديره على عهد البطريرك تومرصا الثاني . أما أن هنالك تومرصا « ثانياً » فليس مما ورد في تاريخ الكنيسة الكلدانية ، إذ لم يقم إلا تومرصا واحد فقط وهو المتوفي سنة ٣٩٣ م . وقد يكون هذا الاختلاف ناتجاً عن خطأ في النسخ .

ولكن المصادر المذكورة اعلاه لا تذكر شيئاً ، ولو تلميحاً عن تومرصا هذا المعاصر

---

١) هو دير قديم كان في جوار دهوك مبني على اسم « مار ايث آلاها ܡܪܝ ܐܝܬ ܐܠܗܐ » المستشهد في بيث نوهدرا في اواخر الجيل الرابع [طالع سيرته في : اعمال القديسين والشهداء ، طبعة بيجان ٢ : ٣٩١ ؛ وشهداء الشرق لأدي شير ١ : ٣٧١ - ٣٩١ ؛ كلدو وآثور ٢ : ٨٣ - ٨٤] وقد شُيد مؤخراً ثانيةً في مكان انقاضه الأولى (إقرأ النجم ١ : ٥٨٠ - ٥٨١) .

٢] راجع « الكلدان في حكم الدولة الراشدية » للأب سليمان صائغ [النجم ١ : ٥١ - ٥٨ ، الراجعة ص ٥٧] .

للربان هرمزد . ومن الغريب ان بعض الكتب ، انظر :

Layard : Nineveh and its Remains (Vol. I, 1849, P. 199)
Rich : Narrative of a Residence in Koordistan and Nineveh (Vol. I, P. 93-94).

تذهب بعيداً في وجود الربان هرمزد لكيما توافق بين زمنه وزمن تومرصا (الاول)، مع ان كتب سيرته وغيرها من المصادر تؤيد وجوده في زمن متأخر عن هذا التاريخ .

ويمكنني ان آتي هنا بخلاصة ما ورد في كتاب حياة الربان هرمزد ليقف عليها القارئ :

« ... ولما علم تومرصا الثاني (كذا) جاثليق بطريرك المشرق — وكان وقتئذ في شيخوخة عميقة — بتكميل هذا الدير، فرح فرحاً عظيماً لانه كان رفيقاً للربان هرمزد في دير الربان برعيتا ، ولانه كان واقفاً أتم الوقوف على سيرته الصالحة واعماله النسكية، فأحب لهذه الاسباب زيارة الربان هرمزد لتبريك ديره، فترك كرسيه البطريركي واصطحب معه اساقفته (كذا) واتوا الى جبل بيث عذري وقاموا بحفلة تدشين الكنيسة ، وعم السرور بين ابناء القرى المجاورة » .

ان هذه الفقرة تبين سابق معرفة بين الربان هرمزد وتومرصا البطريرك وقد يمكننا تعليل هذا الاختلاف الحاصل ما بين السيرة والمصادر التاريخية بأحد الوجهين التاليين :

١ — ان نعتبر تومرصا اسقفاً انتدبه يشوعياب الجدلي(عن يشوعياب الجدلي طالع في كلدو وآثور ٢:٢٤٣—٢٥٥) ليقوم بمهمة تدشين الدير . ثم انه بتعاقب السنين وكثرة الايدي المشتغلة بنسخ سيرة الربان هرمزد حصل تحريف وتبديل على الاصل الذي وضعه المؤلف مما أدى الى مثل هذا الخطأ ، فنُسي اسم يشوعياب واكتفى النساخ باسم تومرصا .

٢ — لقد اشتهر تومرصا (الاول) بميله لتعمير الكنائس والاديرة وسخائه في سبيل ذلك فلا يُستبعد ان يقوم من يتشبه به في هذا المضمار . ولعل يشوعياب لم تكن له تلك الشهرة التي كانت لتومرصا ، فكان من النساخ ان جعلوا منه تومرصا ثانياً .

***

وفاة الربان هرمزد :

ولم يزل الربان هرمزد عاكفاً في ديره الجديد على سيرته النسكية حتى تمكن من

اكتساب ثقة اعدائه واستمالة قلوبهم اليه بصالح اعماله وطيب قلبه ونقاء سريرته ،فعاش في ديره بسلام وشرف الى آخر ايام حياته . وقد تقاطر اليه الرهبان ، فتجمهر لديه في باديء الامرمائة ناسك حيث عاش بينهم وهويعلمهم ويبشر فيهم ، الى ان دقّت الساعة وحمّ القضاء فانطفأ سراج حياته ، بعد ان جمع رهبانه وألقى عليهم من النصائح والاحكام ما يصح ان يعتبر دستوراً يُقتفى أثره في الحياة الرهبانية .

وقد بلغ خبر نعيه الجهات المجاورة كالموصل وبلد ومعلثايا (١) وغيرها ، فتوافدت الجموع الغفيرة من هذه الاماكن لحضور حفلة دفنه . وقد حفروا له في محل بيت الشهداء الذي في ديره مغارة صغيرة بالجبل ووضعوه فيها .

ولا تزال العادة جارية بأخذ قليل من التراب (ܚܢܢܐ)الموجود في قبر الربان هرمزد للتبرك منه . وهذه العادة القديمة كانت متبعة في كنائس الشرق ، وهي مستعملة الآن ايضاً في دير مار بهنام .

وكان قد بلغ من العمر ستاً او سبعاً وثمانين سنة ، قضى منها عشرين سنة قبل انخراطه في السلك الرهباني ، وتسعاً وثلاثين سنة في دير برعيتا ، وست سنوات في دير الرأس ، واثنتين وعشرين سنة في ديره . وقد ترك وراءه بعد موته في هذا الدير غرسة يانعة .

فلا مراء اذا اعتبرنا الربان هرمزد من الشخصيات البارزة في تاريخ قديسي الكلدان *Chaldean Hagiology*.

وقد ذكر السيد أدي شير (كلدو وآثور ٢ : ٢٩٣) ان الربان هرمزد ألف كتاباً ضمنه ما يحتاج المؤمنون الى استعماله ورسم ان يُصلى على الاطفال اذا ماتوا قبل العماد الى غير ذلك ، وقال السمعاني (***Bibl. Or. III. I, P. CCLXXVI***) ان يوحنان هرميس الذي ذكره الصوباوي ونسب اليه قصائد هو هذا ربان هرمزد .

---

١) معلثايا او معلثا هي اليوم قرية صغيرة بقرب دهوك ، ويسموها هناك (ملثايا) .

الفصل السابع

تاريخ الدير قديماً وحديثاً

بعد وفاة الربان هرمزد ، نمت هذه الجمعية التي غرستها يمينه ، وترعرعت لعدة اجيال بعده ، فاشتهر ديره وذاع صيته في الشرق وتقاطر اليه الرهبان ، فاصبح منهلاً عذباً للعلم والقداسة ، ولقد ذكر احد رهبانه الاقدمين ، وهو يوحنا بن خلدون (من القرن العاشر) ان بعيته في الدير وقتئذ ثلثمائة راهب ! . . . وقد نبغ في هـذا الدير رهبان عُرفـوا بفضيلتهم السامية ، كما امتاز بعضهم بالعلم والتأليف ، ونخص بالذكر من هؤلاء جيماً :

يوسف بوسنايا وتلميذه يوحنان بن خلدون (١) الذي وضع كتاباً في سيرة معلمـه يوسف (٢) وكان ذلك في ايام عبديشوع بر عقري (ܒܪ ܥܩܪܐ) الذي ارتقى الى السدة البطريركية سنة ٩٦٣ م .

البطريرك سولاقا :

ثم قام يوحنا سولاقا (٣) القديس والشهيد معاً في القرن السادس عشـر (٤) الذي

---

١) انظر دوفال : *Litt. Syr., P.* 221

٢) في مكتبة دير السيدة نسخة خطية لهذا الكتاب بعنوان ܬܫܥܝܬܐ ܕܝܘܣܦ ܒܘܣܢܝܐ [فو-تي CXCV] وفي هذا الكتاب نقع على حياة يوسف بوسنايا المتوفي سنة ٩٧٩ م ، وفيه ايضاً تراجم لنوابغ هذا الدير . وينتهي ببحث مطول عن الحياة النسكية . وكان العلامة شابو قد نشر هذا الكتاب في [*Revue de l'Orient Chretien* 1897-1899] بعنوان :

Vie du moine rabban Bousnaya, écrite par son disciple Jean Bar-Kaldoun.

٣) سولاقا كلمة كلدانية (ܣܘܠܩܐ) معناها الصعود .

٤) راجع سيرته بقلم الأب سليمان صائغ تحت عنوان : شهيد الإتحـاد البطريرك يوحنـا سولاقا [النجم ٣ : ٣٥١ - ٣٦٢] وكذلـك في كتاب ادولف دافريل الفصـل

صار رئيساً للدير ، ثم أنتخب بطريركاً سنة ١٥٥٢ ، وبعد ذلك قام برحلة الى روما وعرض هناك طاعته للكرسي الرسولي ، فاستلم تكريساً من لدن البابا يوليوس الثالث . وبعد عودته من روما أغتيل (١٥٥٥) بدسائس شمعون برماما بطريرك النساطرة (١) الذي رشى حاكم العادية تنكيلاً به وسلمه اليه كراهية منه بالمعتقد الكاثوليكي الذي كان قد إنصاع اليه يوحنا سولاقا . ولا غرو ان نقع هنا على تطبيق للآية الكتابية : « ان الرشوة تعمي اعين الحكماء » (تثنية ١٦ : ١٩) .

وقام بعد يوحنا سولاقا بطريركاً عبديشوع الرابع (ܥܒܕܝܫܘܥ) ونال براءة التثبيت من البابا بيوس الرابع سنة ١٥٨٠ ، وكان هذا ايضاً من الرهبنة الهرمزدية . وقد حضر المجمع التريدنتيني الذي التأم في زمانه .

وقد وضع عبديشوع هذا ثلاث قصائد بليغة باللغة الكلدانية عن يوحنا سولاقا ، تشتمل الاولى على اخبار سفر سولاقا الى روما والثانية تدور حول استشهاده والثالثة مرثية (٢) .

وخلف عبديشوع في البطريركية يابالاها الرابع الذي كان من هذه الرهبنة . وقد أدار الكرسي البطريركي نحو خمس عشرة سنة .

القرنسي العام في الشرق :

A. d'Avril : La Chaldée Chrétienne [1892, P. 34-47].

١) هو من سلالة بطاركة القوش الذي اضطهد البطريرك سولاقا ووشى به لدى حاكم العادية وسعى بقتله سنة ١٥٥٥ . وقد توفي برماما وخلفه ايليا الخامس ، ومنذ ذاك الحين اخذ خلفاؤه كلهم يُدعون باسم ايليا حتى انقراضهم (انظر نصوص مقبرة البطاركة في هذا الكتاب صفحة ٣٦ - ٤١) ؛ وكذلك راجع بحث العلامة المطران بطرس عزيز : البطاركة الشمعونيون [النجم ١ : ٣٠٧ - ٣١٣ ، الراجعة ص ٣٠٨] .

٢] عُني المستشرق فوستي بنقل هذه القصائد الى الفرنسية مع حواشي تاريخية مهمة في مجلة :

Angelicum (VIII, 1931).

ثم نشرها بكراسة خاصة بعنوان :

Mar Johanna Soulaqa I. Patriarch des chaldéens, Martyr de l'union avec Rome (48 P.).

آدم عقرايا :

ومن المهم هنا ان نأتي على ذكر ذلك الراهب الشهيد آدم عقرايا رئيس هـذا الدير في ايام البطريرك ايليا السادس (* ١٦١٧) وقـد أرسل الربان آدم من لدن هـذا البطريرك الى روما ليقابل البابا بولس الخامس بعد ان زوّد برسائل وصـورة الايمان ، فأقام هناك ثلاث سنوات .

وقد وضع آدم قصيدة باللغة الكلدانية في الربان هرمزد أتينا على ذكرها في صفحة (٦٨) من هذا الكتاب . كما انه ألف كتاب « التعاليم والحقائق الكلدانيـة » سنة ١٦١٠ حينما كان مقيماً في روما . ولكن هذه النسخة الكلدانية الفريدة كانت قـد أبادتها يد الزمان مع الاسف ، فبقيت ترجمتها اللاتينية ، حتى قيض الله لهذا الاثر الجليل من يستدركه ، وهو الانبا شموئيل جميل ، فترجمه من اللاتينية الى الكلدانية سنـة ١٨٨٢ وبهذا اعاده الى اصله .

نكبات الدير :

تسلسلت الحياة الرهبانية في دير الربان هرمزد بلا انقطاع تقريباً مدة تربو على الاحد عشر قرناً ، اي من سنة ٦٢٦ (اعني سنة تأسيسه) حتى سنة ١٧٤٢ . غـير انه مرّ على هذا الدير في القرون المتأخرة من هذه الحقبة ظروف قاسية ، لاقى فيهـا من المحن والنكبات الواناً شتى ، وأخصها تلك التي حدثت في زمن تيمورلنك وخلال الحكم التركماني ، فانه عندما وصل تيار العشائر المغولية الى الموصل ، اكتسح في طريقه كل ما امامه ، فان اولئك المهاجين البرابرة احتلوا كل الاديرة وسلبوها واساءوا معاملة الرهبان وكنت تجد الرهبان بعد كل اضطهاد من هذه الاضطهادات كالطيور السليبة الراجعة الى اوكارها بعد ان أبعدت عنها . فكانت عيونها ترنو اليها وافئدتها تحنـو عليها . ودامت الحال هكذا حتى قدوم نادرشاه (طهماسب) ، فكان قدومه ثالثة الأثافي . إذ انه محقها محقاً من آخرها تقريباً ، وشتت شمل اصحابها . وقد هاجم الموصل مرتين (في ١٧٣٢ و ١٧٤٣) وجاء حتى جزيرة ابن عمر (١) فأعمل السيف برقاب المسيحيين ، واجتاح نساءهم واطفالهم ودمر المدن والقرى . حتى لقد ذكر احـد كتبة النصارى :

---

(١) طالع تفاصيل ذلك في تاريخ الموصل (١ : ٢٧٣ - ٢٩٠ ، ٣٠٧ - ٣٠٩) .

« اصبحت آثور كلها صحراء ، حيث عششت فيها البومة » !... ثم أحرق الاديرة وحز رقاب الرهبان الابرياء واستحوذ على جميع ممتلكاتهم .

***

مصير دير الربان هرمزد :

بعد ان هُدمت الاديرة التي كانت تبلغ الثلثمائة عداً ، لم يبق للكلدان منها في جوار الموصل إلا دير مار ايليا (١) ودير مار كوريل (٢) ودير مار ميخائيل (٣) ودير مار ابراهام المادي ودير الربان هرمزد . وقد ترممت هذه الاديرة مع تمادي الزمان (إلا دير مار كوريل الذي اصبح الآن اثراً بعد عين ...) جماعي المؤمنين بعد ان هجرها الرهبان بنتيجة الاضطهادات . اما املاكها واطيانها التي كانت تقوم بسد حاجات الرهبان فقد صارت فريسة للمهاجين على مر الايام ، إلا املاك دير الربان هرمزد ، فانها بعد خلو الدير استولى عليها افراد عشيرة بيت الاب ولكنهم عادوا فاستهتروا بها ولم يجعلوا انفسهم حُماة لها من تلك الغوائل ، بل صاروا يبترونها كما تشاء اهواؤهم ..

١] اسس هذا الدير مار ايليا الحيري الكلداني حوالي سنة ٦٠٤ م ، وقد قال عنه الحموي « انه حسن البناء واسع الفناء وحوله قلالي كثيرة للرهبان » (معجم البلدان ٤ : ١٦٧) . ولهذا الدير شهرة ذائعة في تاريخ الكلدان . فقد كان مكتظاً بجماعات الرهبان . ولبث كذلك حتى حملة طهماسب الذي اتلفه معا اتلف من العمران والآثار . ومنذ ذلك اليوم خلا من الرهبان . ولا تزال بعض انقاضه ظاهرة للعيان لتدل على سابق عظمته [راجع النجم ١ : ٢١٩ - ٢٢٠] .

٢) ويسمى بالدير الأعلى ، وهو منسوب الى كوريل الكشكري المتوفي سنة ٧٣٨ او ٧٣٩ م . وكان لهذا الدير شهرة عظيمة ، غير انه تخرب ولم يبقَ منه سوى بعض آثار عافية . وكان خرابه بعد حملة طهماسب على الموصل . راجع عنه بحثاً نفيساً للأب سليمان صائغ بعنوان : الدير الأعلى واهميته في الليتورجية الكلدانية (النجم ٥ : ٢٠ - ٢٦) .

٣) اسس هذا الدير مار ميخائيل (من قرية سوسنة بجوار آمد) في اواسط القرن الرابع الميلادي . وقد غص هذا الدير برهبانه العديدين الذين بلغ عددهم وقتاً ما ، الفاً ونيفاً . وكانت فيه مدرسة شهيرة لدروس الفلسفة واللاهوت . وقد ذكره الحموي في معجمه . ويقصده الزائرون لقضاء ايام الربيع لجودة مناخه وحسن موقعه وقربه من الموصل (راجع النجم ١ : ٥١٦ - ٥١٧) .

ان البطريركية في الطائفة الكلدانية كانت تتداول بالخلافة (بالإرث) مدة اجيال (١) وانحصرت زماناً طويلاً في عائلة بيت الاب في القوش . وكان من افراد هذه العائلة مع بطريركهم ان استولوا على الدير وعلى كل ممتلكاته بعد ان خلا من الرهبان وجعلوه كرسياً لبطاركتهم ، وخصصوا فيه مقبرة لموتاهم . فللروحانيين داخل الكنيسة والعلمانيين خارجاً عن الدير ، كما تدل على ذلك كتابات قبورهم الى يومنا هذا (راجع عن مقبرة البطاركة ص ٢٩-٣٤ وعن مقبرة بيت الاب ص ٣٥ من هذا الكتاب) .

***

الاب جبرائيل دنبو :

ولم تدم الحال بهذا الدير على ما ذكرنا من إنحلال وإهمال ، بل قام رجل كاثوليكي فاضل ، سيخلد اسمه في تاريخ هذا الدير وهو « جبرائيل دنبو » (٢) الذي تمكن

١] هكذا شاءت ارادة البطريرك شمعون الباصيدي (١٤٣٧ ـ ١٤٧٧) بان جعل البطريركية وراثية بين افراد عائلته . فسنّ في عام ١٤٥٠ قانون وراثة الرتبة البطريركية في عائلته . ولا يخفى ما في الإقدام على هذا العمل من شطط ، لأنه لم يكن ليمكن لعائلته ان تقوم بسدّ احتياجات جميع الابرشيات من المطارين فضلاً عن البطريرك . فنتج عن هذا إندراس جميع الابرشيات البعيدة عن مركز البطريركية كسنجار ورأس العين وحصن كيفا ونصيبين وحلب والشام والقدس ومصر وجزيرة قبرص وارمينيا العليا والهند وسيلان وغيرها [طالع عن هذه الابرشيات المندرسة اليوم في كتاب « تقويم قديم للكنيسة الكلدانية النسطورية » الذي نشره سيادة المطران بطرس عزيز سنة ١٩٠٩] وقد تحمّل ابناء الكنيسة الكلدانية قانون الوراثة البطريركية مدة جيل كامل ورزحوا تحت جوره ولكنهم شعروا اخيراً بعظم المصاب من جراء هذا النظام السيّ فقاموا بالإحتجاجات المتواصلة واستعانوا بروما ام الكنيسة ، واستمرّت المداولات وطال الأخذ والرد حتى أزيل هذا النظام .

٢] لا يمكننا التبسّط هنا في حياة هذا الوس الجديد . فمن اراد التوسّع فعليه بمطالعة المراجع الآتية التي استقينا منها معلوماتنا :

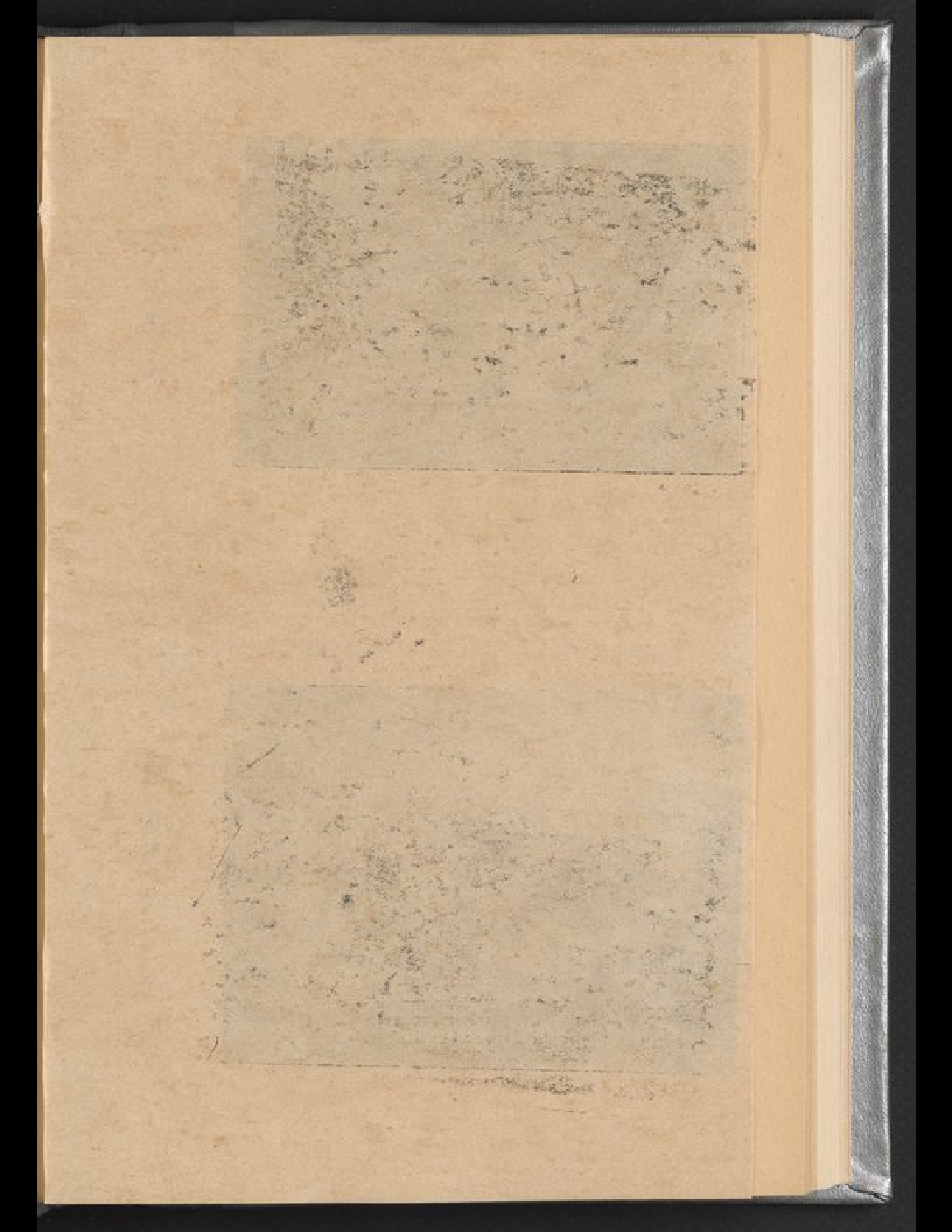
١ . القس اسطيفان كجو ـ نشر اربع عشرة مقالة في غاية الأهمية عن الأب جبرائيل دنبو



الاب جبرائيل دنبو



الباب الخارجي لدير السيدة



بنتيجة مساعيه واتعابه الجمة ان يفتتح ابواب الدير (١) ويستجمع له من الرهبان ما يكفي لاعادة تلك الحياة الرهبانية التي كانت سائدة قبل حلول النكبات والرزايا بهذه المؤسسة .

وُلد جبرائيل دنبو في ماردين عام ١٧٧٤ ، ولما شبّ صار يزاول التجارة ، ثم انتابه مرض عضال كاد يودي بحياته ، فقرر انه اذا شُفي من مرضه سيكون راهباً وسينشيء رهبانية للطائفة الكلدانية فيا بين النهرين .

ولما شُفي اشار عليه احد الافاضل (٢) ان يتخذ له دير الربان هرمزد . وتحقيقاً لهذه الغاية مَثُل جبرائيل بين يدي المطران يوحنا هرمزد (٣) وطلب منه هذا الدير ، لكن

في مجلة النجم لسنتيها الثانية والثالثة . وقد جمع من مقالاته هذه - بعد تلخيص وتعديل - كتاباً بعنوان « الأب جبرائيل دنبو » (الموصل ١٩٣٢ ، ٦٤ ص) .

ب . ونشر الاستاذ المحقق يعقوب سركيس اربع مقالات نفيسة بعنوان « وثائق تاريخية عن حياة الأب جبرائيل دنبو » (النجم 3 : 75 - 85 ؛ 4 : 219 - 228 ، 262 - 272 ، 322 - 324) .

ج . القس سليمان صائغ - صوت الشهيد - قصيدة في الأب جبرائيل دنبو [النجم 4 : 217 - 219) ونشر ايضاً مقالاً ممتعاً عن دير الربان هرمزد قديماً وحديثاً (مجلة المشرق 1922 : 835 وما بعدها) .

د . القس يوسف نادر الأنطوني الماروني - آراء متتبع لحياة الأب جبرائيل دنبو [النجم 5 : 349 - 356] .

ه . ونشرت رسالة قلب يسوع (14 : 141 - 155) مقالة هي خلاصة لكتاب الأب اسطيفان كجو .

و . القس بطرس نصري - ذخيرة الأذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان (الجزء الثاني ، ص 83 ، 184 ، 407 - 408 ، 427 - 428 ، 445 - 446]

ز . *Abbé Martin : La Chaldée (P. 73-78).*

١] لقد كانت المدة التي توقفت خلالها الحياة الرهبانية في هذا الدير من يوم تأسيسه وحتى الآن زهاء ثمانين عاماً .

٢) هو القس فرنسيس من قرية باقوفا ، الذي كان مقيماً في بغداد وتعرّف جبرائيل به .

٣) لم يكن يوحنا هرمزد قد نال التثبيت البطريركي حتى اواخر عام ١٨٣٠ حيث أعلن بطريركاً من المجمع المقدس على يد السيد بطرس كوبري الاسقف اللاتيني والزائر

يوحنا هرمزد أباح لجبرائيل ان يتخذ دير مار كوركيس (١) او دير مار ابراهام المادي او دير مار ايليا السعيدي . اما جبرائيل فقد طلب دير الربان هرمزد ، فرفض عليه المطران يوحنا هذا الطلب بقوله : انك لن تستطيع السكنى فيه خوفاً من غزوات الاكراد وهجماتهم المتعاقبة . . .

ولكن الحقيقة لم تكن كذلك ، فان خوف المطران وتوجسه من الاكراد لم يكن تمسكاً بحياة جبرائيل او رهبانه المتبدين ، انما كان ينطوي على غاية بعيدة وهي خشيته من تكاثر الرهبان في الدير واستتباب امرهم هناك فيعودون بالاخير ويدّعون باوقاف هذا الدير بعد ان اضحت مورداً دائمياً يستغله افراد العشيرة الابوية .

على ان ممانعة المطران لم تكن لتفلّ من ساعد جبرائيل او تثبط من عزمه ، بل زادته تشوقاً الى بغيته واهتماماً للامر . وبعد مرور سنتين ، اي عام ١٨٠٨ ، ظفر برغوبه بنتيجة توسط بعض افراد الطائفة من الموصل والقوش فأخذوا الدير من حنانيشوع (٢) مطران العمادية ، لان هذا الدير كان من ملحقات ابرشيته .

ولما جلس جبرائيل في دير الربان هرمزد ، اخذ يعيش عيشة نسكية بنشاط عجيب ويمارس اعمالاً متعبة شاقة ويواظب على الصوم والصلاة ليل نهار ، فانتشر خبر افتتاح الدير بمدة وجيزة وتقاطر اليه الرجال وانضموا الى رهبنته ، فهداهم في سبيل الفضيلة والتقوى مدة ثلاث سنين . ثم ألحّ عليه الرهبان إلحاحاً لا مردّ منه في ان يقتبل الدرجة الكهنوتية ، فأجاب الى طلبهم بعد تمنع منه ، وسيم كاهناً عام ١٨١١ .

ان حادث تسليم الدير للرهبان قد اثار حفائظ عائلة بيت الاب ، كما انه كان على الضدّ ايضاً من رغبة يوحنا هرمزد . فعندما علم بتكاثر الرهبان ، انّب المطران حنانيشوع على ما فرط منه لدى إعطاء الدير ، وأفهمه بخطأه وبيّن له سوء المغبة لعائلة الاب ،

الرسولي في بغداد . [طالع سيرة يوحنا هرمزد بقلم سيادة المطران يوسف غنيمة ، النجم ٢ : ٩٧ - ١١٢ ، ١٤٥ - ١٥٣] .

١) يقع هذا الدير شرقي الموصل على مسيرة ساعة ونصف . وقد كان سابقاً كنيسة لقرية باعويرا (بيث عويري ܒܝܬ ܥܘܝܪܐ) التي هجرها اهلها وبقيت كنيستها ماثلة للعيان حتى سكنها مؤخراً رهبان من دير الربان هرمزد (النجم ١ : ٥١٧) .

٢] هو ابن عم المطران يوحنا هرمزد .

فتغير عندئذ فكر حنانيشوع نحو الرهبان (١) وصار ينتهز الفرصة لاسترجاع الدير منهم ...

وقد أبلغ حكام العمادية ان في هذا الدير بعضاً من الناس دأبهم الفساد والتمرد . فأوفد حاكم العمادية عدداً من رجاله المسلحين الى الدير لاجراء التحقيق (؟ ...) وتعقيب هؤلاء المجرمين ، وكانت النتيجة ان كُسرت ذراع الانبا جبرائيل ثم طُرد مع رهبانه من الدير وشُتت شملهم وسُلبت كل امتعتهم ، واخيراً زُجوا في السجن بالقوش مدةً ، ثم أطلق سراحهم فاجتمعوا في كنيستي مار كوركيس ومار ميخا لانتظار النتيجة . واخيراً انقشعت الغامة وفُتحت امامهم ابواب النجاة ، إذ صعدوا ثانيـة (سنة ١٨١٢) الى ديرهم وسكنوا فيه (٢) .

ولما ازداد الرهبان (٣) اختار الانبا جبرائيل بعضاً منهم لدرجة الكهنوت واربعة منهم لرتبة الاسقفية وهم الاساقفة باسيليوس اسمر واغناطيوس دشتو ولورنسيوس شوعا ويوسف اودو . كما انه ارسل كهنة عديدين الى المدن والقرى ليعظوا ويتلمذوا ابناء الطائفة الكلدانية .

وفي سنة ١٨٢٧ تأهب جبرائيل للسفر الى رومية واستصحب معه الاب بولس جالا التلكيني بعد ان اقام وكيلاً عنه في الدير الاب حنا جرا الالقوشي . فنال الاب جبرائيل

---

١) يظهر لمن يتتبع اعمال حنانيشوع انه كان رجلاً سريع التقلب .

٢) هنا أنقل فقرة وردت في كتاب المستر ريج (انظر :

Narrative of a Residence in Koordistan and Nineveh, II, P. 93.

الذي كان معاصراً لجبرائيل دنبو ، وقد كتبها في ٢٠ دسمبر ١٨٢٠ لدى زيارته للدير ، قال :

« ان الرئيس كان غائباً ، ثم عاد للدير في الليلة الثانية ، وقد اتى لزيارتي في الصباح وكان هذا الرئيس رجلاً من ماردين ، لكنه درس في ديار بكر على صديقي المسيو اوغسطين هندي ، وهو يتكلم التركية بصورة مقبولة ، ولقد احببته كثيراً . وعندما صار رئيساً للدير منذ نحو اثني عشرة سنة ، وَجَدَهُ في حالة تكاد ان تكون خربة . وهو الآن يعمل على ترميم الكنائس ، التي اهمها هي كنيسة الربان هرمزد » .

٣) ذكر ريج [عندما زار الدير ، في يومياته ١٩ دسمبر ١٨٢٠ ، كتابه المذكور *II, P. 91*] ان عدد الرهبان يبلغ (٥٠) ، بينهم خمسة كهنة .

حظوة كبرى لدى البابا بيوس الثامن والمجمع المقدس ، وبعد مكثه هناك ثلاث سنين زودوه برسائل مهمة تؤول الى سلامة الرهبنة وتثبيتها تحت قانون مار انطونيوس الكبير (١) .

وفي ١٥ ايار ١٨٣٠ عاد من روما مستبشراً بالنجاح ، فوصل بغداد (٥ تشرين الثاني ١٨٣٠) واعطى الرسائل المذكورة للسيد بطرس كوبري المطران اللاتيني في بغداد وهناك لبث سنتين ثم اتى الى القوش سنة ١٨٣٢ فاستقبله رهبانه الذين لاذوا بالفرار خوفاً من محمد باشا امير راوندوز المعروف بمير كور (اي الامير الاعور) الذي قدم في تلك الاثناء الى الموصل واطرافها وقتل كثيراً من اليزيدية والمسيحيين ثم اقبل الى القوش وحاصرها بجيشه الجرار ، فاضطر الاب جبرائيل الى ترك القوش والهرب الى الجبل مع الالقوشيين وبعض الرهبان ايضاً (٢) فتتبعهم الجنود واقتفوا اثرهم حتى ادركوهم وقتلوا الاب جبرائيل وثلاثة رهبان وعدداً كبيراً من الالقوشيين (٣) .

ثم وُجدت جثته فدفنوها في كنيسة مار ميخا بالقوش سنة ١٨٣٢

الاب حنا جرا :

وخلف القس جبرائيل في رئاسة الدير (بالوكالة) القس حنا جرا وذلك سنة ١٨٣٢ بانتخاب الرهبان الذين سعى يوسف اودو مطران العمادية بردهم الى ديرهم .

وفي عام ١٨٣٥ سافر الاب المذكور الى روما لينال التثبيت من الكرسي الرسولي لرهبنته المضطهَدة من اعدائها وعند وصوله لقي هناك حفاوة من الكرسي الرسولي ، وبعد ان اكمل مناهجه قفل راجعاً الى ديره مزوداً ببعض العطايا من المجمع المقدس ، وذلك في اواخر سنة ١٨٣٦ . وبوصوله اجتمع كل الاخوة المتفرقين وعقدوا مجمعاً

---

١) إقرأ نبذة عن انطونيوس الكبير في كتاب الأب لويس شيخو اليسوعي « ابطال الإيمان في اولياء الله في لبنان » ١٩١٤ ، ص ٨-٩ .

٢) ان الاضطهاد ما برح قائماً على الرهبنة طيلة الخمس سنوات التي كان فيها الأب جبرائيل غائباً عن الدير .

٣) وضع الأب دميانوس الألقوشي [الذي كان رئيساً لدير الربان هرمزد ثم نائباً بطريركياً في الموصل] قصيدة مطوّلة باللغة الكلدانية أودعها وصف مقتلة القوش التي بلغ فيها عدد القتلى ٣٧٠ رجلاً . وفي دير السيدة نسخة خطية لهذه القصيدة [فوستي رقم CCCXXX] .

عمومياً انتخبوا فيه الانبا حنا رئيساً على جميع الرهبان .

وفى مدة رئاسته (اي في ١٢ حزيران ١٨٤٠) خرج الدير من نفوذ مطران العمادية واصبح تحت ادارة البطريرك نيقولاوس زيعا (١) اي انه أضحى ملحقاً بابرشية الموصل . وقد حصل هذا العمل بهمة السيد فرنسيس بيلارديل القاصد الرسولي .

وفي سنة ١٨٤٢ خرج اسماعيل باشا من بغداد وأتى لمحاصرة العمادية، وفي طريقه صعد بجنوده الى الدير وسبي امواله ، ولم يكتف بذلك بل سجن في صومعة واحدة (٢) الاب حنا جرا ومعه (١٥) راهباً من كهنة واخوة . وهناك اذاقهم أقسى العذابات ، حتى أدى به الجَور والظلم الى ان يكوي رقابهم بحديد محمى بالنار ... وبعد ان نكل بهم اشدّ التنكيل – وهم مستسلمون في عقر دارهم – كبّل بالسلاسل الانبا حنا والانبا موشي (من قرية باطناية) مع (١١) راهباً وساقهم الى العمادية . فلقي الكاهنان حتفيهما هناك بنتيجة التعذيب والاهوال فدُفنا في الكنيسة الكلدانية بالعمادية .

وهنا اقتبس فقرة من مؤلف معاصر لهذه الحادثة وهو فلايتشر ، فقد ذكر في كتابه :

« ... كان الدير قد هوجم قبل زيارتي بمدة وجيزة من قِبل الجنود الأكراد تحت إمرة اسماعيل باشا حاكم العمادية ، الذين مزقوا جميع المخطوطات التي عثروا عليها بهمجية طائشة . كما ان الخراطيش قد اتخذت لها من محاريب الكنيسة اهدافاً لها، وقد اقترفوا مختلف الاعمال الشائنة داخل الكنيسة ، كما ان الرهبان قد حُجزوا ، وقد ضُرب قسم منهم ضرباً مبرحاً بغلاظة ، وكان احدهم لا يزال يعاني آلاماً حتى حين زيارتي للدير ، وذلك من جراء التعذيبات التي الحقوها به . ولقد حاول الاكراد ان يحرقوا الكنيسة ، ولكن مساعيهم ضاعت سدى » (٣)

ثم أطلق سراح الرهبان المحبوسين وأرسلوا الى ديرهم وبعد سبع سنين نقل الرهبان رفات الانبا حنا والانبا موشي من العمادية وكذلك رفات الانبا جبرائيل من القوش ووضعوها في ثلاثة صناديق ، على كل منها كتابة تدل على عظام كل واحد منهم ودفنوها

---

١) راجع ترجمته بقلم سيادة المطران يوسف غنيمة [النجم ٢ : ١٥٤-١٦٧] .

٢) تُدعى هذه غرفة السجن ، وهي بجوار غرفة الطعام [انظر ص ٢٨ من هذا الكتاب] .

3) *Fletcher: Narrative of a Tow Years' Residence et Nineveh etc.* (*Vol. I,* 1850, *P.* 248-249).

عند الجدار في الهيكل الكبير في ٢٠ تموز ١٨٤٩ .

لقد ساس الانبا حنا الرهبنة تسع سنوات بصفة وكيل عام وسبع سنين أخرى بصفة رئيس عام . وبعد موته لم ترخ عزائم الرهبان المتبددين في المدن والقرى ، بل انتهزوا الفرصة وعادوا الى ديرهم وعاشوا بزهد وفقر عظيمين بالرغم من الخوف والاضطهاد المحدق بهم .

وأقيم بعد وفاة الانبا حنا وكيلاً على الرهبنة ، الانبا عمانوئيل من قرية ارموطا لمدة ثلاث سنوات ، ثم أنتخب رئيساً عاماً مدة ست سنين . وفي ايامه أتى التثبيت لرهبنة الربان هرمزد من لدن الكرسي الرسولي ، كما ان في وقته صار لروءساء هذه الرهبانية الحق بلبس التاج واستعمال العكاز في كنائس اديرتهم . وقد توفي عام ١٨٦٦ ودُفن في كنيسة دير السيدة .

الاب اليشاع :

وخلفه في الرئاسة الانبا اليشاع من دهوك ، الذي قام بأعباء الرئاسة العامة ٢٦ سنة متوالية حتى وفاته عام ١٨٧٥ . وكان يحب صالح الرهبنة ويسعى في تقدمها ونجاحها .
ولما اراد آل بيت الاب إقامة الدعوى للاستيلاء على اراضي الدير وارحيته (١) اضطر الانبا اليشاع ان يسافر (١٨٦٥) الى القسطنطينية فمكث هناك تسعة اشهر قضاها بالمحاكمة مع المدّعين ، وفي الاخير فاز بالنصرة عليهم بمساعدة حسونيان بطريرك الارمن الكاثوليك ، واخذ سنداً بهذه الاراضي والارحية باسم دير الربان هرمزد، ولا يزال هذا السند محفوظاً بين سجلات الدير . ومن هناك سافر الانبا اليشاع الى روما لزيارة البابا بيوس التاسع الذي انعم عليه وعلى مَن يخلفه في هذا المقام بحمل الخاتم والصليب .

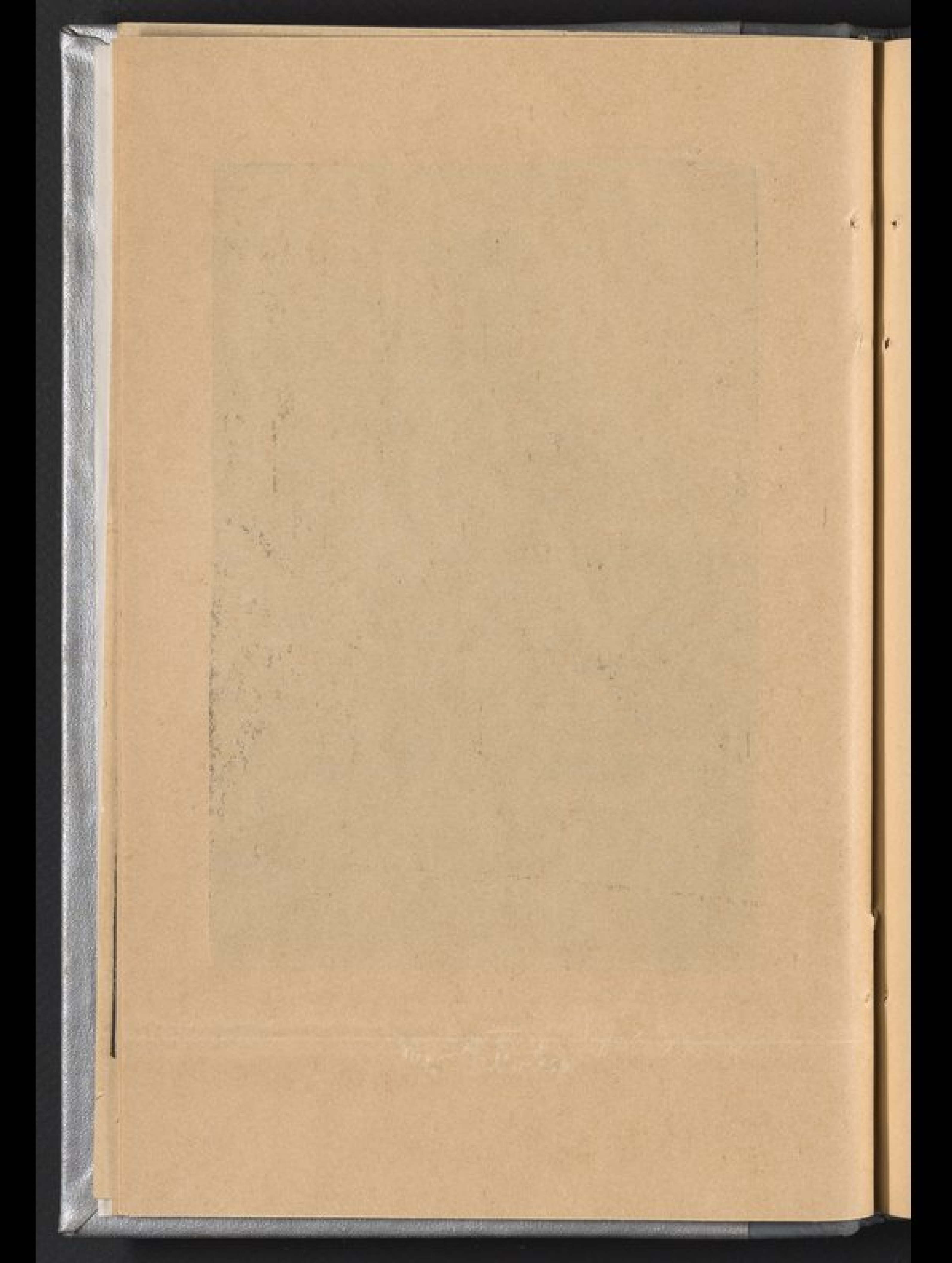
وفي ايامه (١٨٥٨) أقيم دير السيدة حافظة الزروع (٢) ، وفي سنة ١٨٥٩ منح البطريرك يوسف اودو (٣) للانبا اليشاع وللروءساء الذين من بعده حق التقدم على جميع الكهنة القانونيين والعلمانيين في اثناء تكميل الخدم والصلوات الكهنوتية . وكذلك

---

١) لقد دام الصراع بين الرهبان وبيت الأب زهاء نصف قرن . وكانت النتيجة ان ظفر الرهبان بحقوقهم المهضومة واستردوها جميعاً .

٢) انظر ص ٧-٨ من هذا الكتاب .

٣] طالع جانباً من سيرته بقلم المطران يوسف غنيمة [النجم ٢ : ٣٠٧-٣١٨] .





الاب شموئيل جميل

في ايامه ، سلم البطريرك المذكور للرهبان إدارة دير مار كوركيس بعويرا ، فأرسل الانبا اليشاع بعضاً من الرهبان ليسكنوا فيه . فأصبح هذا الدير ملحقاً بالرهبنة الهرمزدية . ويسكنه الآن نزر من الرهبان .

وقد ألف الانبا اليشاع كتاباً مهماً في تاريخ دير الربان هرمزد بعنوان : ܬܫܥܝܬܐ ܕܕܝܪܐ ܕܪܒܢ ܗܘܪܡܝܙܕ ولا يزال محفوظاً بدير السيدة (فوستي CXCVIII وأدي شير ، رقم ١٠٨) وقد انتهى من كتابة هذا الكتاب في ٨ يناير ١٨٨٦ . وهو يشتمل على فترة من تاريخ الدير تنحصر ما بين سنة ١٨٠٨—١٨٦٢ م .

وقد خلفه في الرئاسة الانبا ابراهيم عبو السلوخي (من كركوك) مدة ثلاث سنين . وقام بعده بالرئاسة الانبا بطرس اوراها ، فساس الدير ست سنوات .

الاب شموئيل جميل :

وفي ١٠ تشرين الثاني ١٨٨١ عُقد مجمع عمومي من كل الرهبان ، فانتخبوا فيه الانبا شموئيل جميل (١) رئيساً عاماً .

وُلد في تلكيف سنة ١٨٤٧ وانخرط في سلك الرهبنة في التاسعة عشرة من عمره ، وبعد ثلاث سنين ارسله الانبا اليشاع الى مدرسة بروبغندا في روما ليتخرج في العلوم اللاهوتية ، وارتسم كاهناً هناك بعد ان مكث عشر سنوات .

وقد انتخب الانبا شموئيل ثانيةً لرئاسة الدير العامة سنة ١٨٨٧ وساس الرهبنة مدة سبع سنين .

وفي اواخر ١٨٩٥ انتدبه البطريرك عبديشوع خياط للسفر الى روما لينوب عنه لدى الكرسي الرسولي ، ومع هذه النيابة اسامه ارشدياقوناً لقلاية بطريركية بابل . فقام بأعباء هذه المهمة خير قيام مدة سبع سنوات ، وكان فضلاً عن ذلك نائباً رسمياً عن الشعب الكلداني الملباري لدى الكرسي الرسولي .

ثم عاد من روما سنة ١٩٠٢ واستأنف عمله في ادارة الرهبنة بغيرة ونشاط ، فوسع الاديرة بالابنية الجميلة واشترى لها املاكاً لتأمين حياة الرهبنة المادية .

وفضلاً عن ذلك فقد كان الانبا شموئيل رجلاً متضلعاً بالعلوم . فانه ألف كتباً

١) راجع سيرته بقلم الأب يوسف داديشوع نجار (النجم ٣ : ١٠ – ١٨) وكذلك في تاريخ الموصل (٢ : ٢٧٧ – ٢٧٨) .

كثيرة تبلغ العشرين عداً ، باللغات اللاتينية والايطالية والعربية والكلدانية . وسوف نقتصر فيما يلي على ذكر البعض منها .

١- قواعد اللغة الآرامية (موجز ومطول . منه نسخة في مكتبة دير السيدة ، فوستي رقم CCCII و CCCIV) .

٢- تاريخ انتشار البدعة النسطورية ودخولها عند المشارقة (منه نسخة في مكتبة دير السيدة) .

٣- كتاب التعاليم والحقائق الكلدانية تأليف الربان آدم عقرايا (انظر ص ٦٨ من هذا الكتاب) وقد نقله من اللاتينية الى الكلدانية سنة ١٨٨٢ .

٤- مبحث في مار ماروثا اسقف ميافرقين .

٥- رحلات في الجبال الشمالية (كان الانبا شموئيل قد أرسل كزائر بطريركي الى الجبال الحكارية سنة ١٨٨٥ فاخذ يتوغل في تلك الجبال ويتفقد احوال قراها الكبيرة والصغيرة ، ووصف طبائع اهلها ومرافقهم . وقد استغرقت رحلته سنة كاملة . ومن هذا الكتاب نسخة خطية في مكتبة دير السيدة .

٦- كتاب الردود على البروتستانتية (طُبع في بيروت سنة ١٩١٠ على الحجر ، ومنه نسخة خطية في مكتبة دير السيدة . فوستي XC) .

٧- كتاب جامع المؤلفين (ذكر فيه تراجم المؤلفين الواردة اسماؤهم في قائمة الصوباوي (منه نسخة في مكتبة دير السيدة) .

٨- مجموعة نفيسة من رسائل كلدان ملبار .

٩- كتاب علاقات الكنيسة الكلدانية بالكرسي الرسولي (وضعه باللغة اللاتينية ، وطبعه في روما) .

١٠- الدفاع الايماني الذي قام به الآباء المشارقة لدى كسرى بن هرمزد ملك الفرس سنة ٦١٢ ميلادية (ألفه باللغتين الكلدانية واللاتينية ، وطبعه في روما) .

١١- كتاب المعادن اللاهوتية (مطبوع) .

١٢- كتاب اللاهوت الادبي .

١٣- حياة البطريرك عبديشوع خياط (ألفه باللغة الايطالية) .

١٤- الديانة اليزيدية (ترجمه من الآرامية الى الايطالية ، وطبع النص والترجمة في

روما سنة ١٩٠٠) ٠

هذا عدا ما وضعه من القصائد التاريخية او الزهدية باللغة الكلدانية وغيرها من الاعمال الكتابية مما لا متسع لذكرها جميعاً هنا ٠ وكلها محفوظة في مكتبة دير السيدة٠

وقد لبث الانبا شموئيل في الرئاسة العامة على الاديرة بلا انقطاع حتى سنة ١٩١٧ التي توفي فيها ٠

وبعد وفاته أقيم الانبا موشي ارميا وكيلاً عاماً على الرهبان ٠ فأدار الرهبنة خمس سنين ، ثم أنتخب من بعده الانبا يوسف داديشوع نجار رئيساً عاماً ٠

الاب يوسف داديشوع نجار :

ان الانبا يوسف وُلد في تلكيف سنة ١٨٨٥ ودخل الرهبنة في السابعة عشرة من عمره ، وسيم كاهناً سنة ١٩١٣ وقد ادار هذا الاب الوقور الرهبنة بهدوء وسلام ، مدة اثنتي عشرة سنة متوالية ، عُرف خلالها بالنشاط والغيرة والسعي لتقدم الرهبنة ٠ واليه يرجع الفضل في تشييد كنيسة دير الربان هرمزد التي كانت متداعية للسقوط ٠ فانه دار في مختلف انحاء العراق وجمع نحو ٦٠٠ دينار من ابنائه وقد ساعده الكرسي الرسولي ب٣٧٥ ديناراً فتمت البناية في منتصف تموز ١٩٣٠ ٠

وقد استمرّ الانبا يوسف في الرئاسة حتى سنة ١٩٣٣ ، حيث جرى الانتخاب مجدداً فأنتخب الانبا حنا هرمزد الالقوشي رئيساً عاماً ، وهو لا يزال قائماً بأعباء الرئاسة ٠

***

المطران طيماثاوس مقدسي :

وقبل ان نختتم هذا البحث ، لابد من التنويه بذكر المأسوف عليه المطران طيماثاوس مقدسي (١٨٤٧-١٩٢٩) الذي كان من افراد هذه الرهبنة (١) ٠

فقد وُلد في القوش وانخرط في سلك الرهبنة الهرمزدية ، وتلقى دروسه بمدرسة بروبغندا في روما ، ونال درجة الملفنة في الفلسفة وعلم الفقه الكنسي ، ثم سيم كاهناً هناك ، وبعدها عاد الى ديره فأكبّ على تجديد روح النظام الرهباني ، وافتتح مدرسة

١) طالع ترجمته في النجم (١ : ٤٣٣ - ٤٣٦) .

في الدير للمبتدئين ، وادخل اليها عدا الدروس الابتدائية دروس الفقه النظاري .

ثم تعين وكيلاً بطريركياً على ابرشية سعرد ، ثم أختير مطراناً على ابرشية زاخو (١٨٩٢) . وقد وضع من التآليف النفيسة ما يلي :

١- قواعد اللغة الكلدانية (طُبع في مطبعة الآباء الدومنكيين بالموصل) .

٢- كتاب المنطق (في اللغة الكلدانية لم يُطبع) .

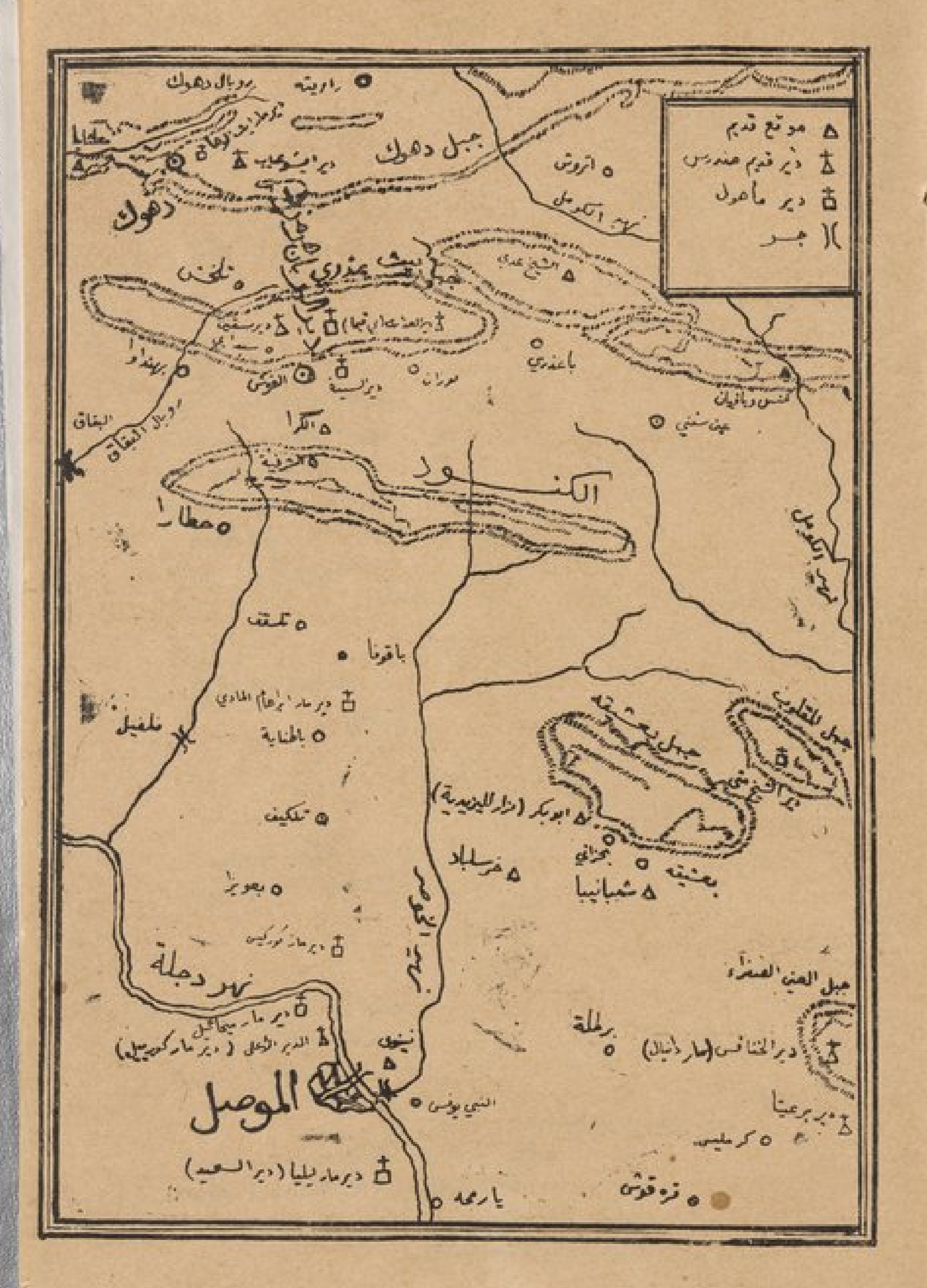
٣- كتاب اللاهوت الادبي (طَبع منه بعض الكراريس ثم حالت الظروف دون نجاز طبعه) كما ان له قصائد في اللغة الكلدانية الحديثة في الدين والاخلاق والتاريخ .

***

خاتمة :

فالحياة الرهبانية قد تسلسلت منذ تأسيس الدير الى هذا اليوم ، إلا بعض فترات شابت هذا الاتساق . فشكلت ثغرات في تاريخ الرهبنة .

ان هذه الرهبنة قد سارت بانتظام منذ إعادة تشكيلها على يد الانبا جبرائيل دنبو وحتى الآن (١٨٠٨-١٩٣٤) وقد قام خلال هذه المدة احد عشر رئيساً عمومياً ، لا يزال ثلاثة منهم على قيد الحياة .



خريطة المواقع المهمة الواردة في الكتاب (رسم المؤلف)

محتويات الكتاب

تصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١	١٣	ومبانٍ	ومباني
٥	٢٧	مجارٍ	مجاري
٠	٢٧	تفيض	تغيض
١٤	٢٤	***L'Anchorète***	***L'Anachorète***
٢٢	١٧	***d N.-D.***	***de N.-D***
٣١	١١	)	(٤)
٣٢	١٠	ويلم	ويلغ
٣٤	٢٢	كتاب	كتابات
٤١	١٣	مقبرلًا	مقبولًا
٦٣	١٥	وحب	وجب
٨٤	٢٤	المراجغ	المراجع
٨٩	٢٠	***tow***	***two***
٨٩	٢٥	***el***	***at***
٩٣	٧	الانيا	الانبا

محتويات الكتاب

الصحيفة

ANCIENT MONUMENT IN IRAQ

THE MONASTERY OF RABBAN HORMIZD

(Near Mosul)

BY

GEORGIS H. AWAD

1934

Al - Nadjm Press, Mosul

